

موسوعة المملكة العربية السعودية

Encyclopedia of Saudi Arabia

المجلد الرابع







 مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مجموعة مؤلفين
موسوعة المملكة العربية السعودية ./منطقة المدينة المنورة: الجزء الأول/
مجموعة مؤلفين .- الرياض، ١٤٢٨هـ .
٢٠ مج .
ردمك : ٨ - ٦٣ - ٧٠٨ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨ (مجموعة)
٦ - ٦٧ - ٧٠٨ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨ (ج ٤)

١- السعودية - موسوعات أ . العنوان
ديوي ٩٥٣,١٠٠٣ ١٤٢٨/٧٩٩٩

رقم الإيداع : ١٤٢٨/٧٩٩٩
ردمك : ٨ - ٦٣ - ٧٠٨ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨ (مجموعة)
٦ - ٦٧ - ٧٠٨ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨ (ج ٤)

حقوق النشر والتوزيع محفوظة لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض



مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض
المملكة العربية السعودية
ص ب ٨٦٤٨٦ الرياض ١١٦٢٢
هاتف: ٩٦٦١٤٩١٩٢٦٥ + فاكس: ٩٦٦١٤٩١٩٣٣٧ +
الموقع الإلكتروني: www.kapl.org.sa



الباب الثاني

التطور التاريخي

رئيس اللجنة العلمية

أ.د. محمد بن سليمان الخضيري
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المستكتبون

أ.د. سعيد بن فايز السعيد
أستاذ اللغات والحضارات القديمة بجامعة الملك سعود

د. محمد بن علي عسيري
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

د. عويضة بن متيريك الجهني
أستاذ التاريخ المشارك بجامعة الملك سعود

التحكيم العلمي

أ.د. عمر بن صالح العُمري
أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. إبراهيم بن محمد المزيني
أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

د. حميد بن إبراهيم المزروع
أستاذ علم الآثار القديمة المشارك بجامعة الملك سعود

الباب الثالث

الآثار والمواقع التاريخية

رئيس اللجنة العلمية

أ. د. عبدالعزيز بن سعود الغزّي
أستاذ علم الآثار القديمة بجامعة الملك سعود

المستكتبون

د. مشلح بن كميخ المريخي
أستاذ علم الآثار الإسلامية المشارك بجامعة الملك سعود

أ.د. سعيد بن فايز السعيد
أستاذ اللغات والحضارات القديمة بجامعة الملك سعود

التحكيم العلمي

أ.د. عادل بن محمد نور غباشي
أستاذ علم الآثار والحضارة الإسلامية بجامعة أم القرى

د. سامر بن أحمد سحله
أستاذ آثار الشرق الأدنى المساعد بجامعة الملك سعود

الباب الثاني

التطور التاريخي

الفصل الأول

عصر ما قبل الإسلام

أولاً بدايات الاستيطان
ثانياً مملكة دادان (العلا)
ثالثاً التوسع البابلي
رابعاً مملكة لحيان
خامساً الوجود المعيني في دادان (العلا)
سادساً مملكة الأنباط
سابعاً يثرب (المدينة المنورة)

إعداد
الأستاذ الدكتور سعيد بن فايز السعيد
أستاذ اللغات والحضارات القديمة

مر تاريخ منطقة المدينة المنورة قبل الإسلام بمراحل زمنية كثيرة، جميعها ترتبط ببداية استيطان العنصر البشري للمنطقة، وشروعه في إعمار الأرض، وتفاعله مع البيئة وتسخيره لمقوماتها فيما يخدم احتياجات حياته وتطوير أساليبها المتنوعة.

وتاريخ المنطقة قبل الإسلام بعصوره الزمنية المختلفة شبيه ببقية العصور الزمنية لأغلب حضارات أرجاء جزيرة العرب، بل هو متجانس معها إلى حد كبير في موروثها الحضاري وفكرها الاجتماعي، وتشتمل كل حقبة زمنية من التسلسل التاريخي للمنطقة على معلومات تاريخية عن الإنسان والمكان والزمان في المنطقة. وتؤكد شواهد الأدلة الأثرية التي كشفت عنها الدراسات الآثارية في منطقة المدينة المنورة على قدم الاستيطان في المنطقة منذ عصور موغلة في القدم؛ فقد شهدت المنطقة استيطاناً بشرياً منذ عصور ما قبل التاريخ بتفرعاتها المختلفة، ثم تزايد الاستيطان وزادت كثافته خلال العصر الحجري الحديث، كما كشف في المنطقة أيضاً عن أنشطة مختلفة تجسد تاريخ إنسان المنطقة خلال عصر فجر التاريخ وبداياته، وخلال الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، ومع مطلع الألف الأول قبل الميلاد الذي تبلورت فيه الأسس الحضارية لإنسان المنطقة، ودخلت منطقة المدينة المنورة أثناءه في عصر جديد يطلق عليه اسم عصر الممالك العربية، وينتهي تاريخ منطقة المدينة قبل الإسلام مع ذلك الحدث الجليل حينما شرح الله صدر نفر من أهل يثرب إلى الإسلام في السنة العاشرة من البعثة النبوية الشريفة[1]، وتبلور هذا العهد الجديد مع هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة.

أولاً ـ بدايات الاستيطان:

تؤرخ الدراسات العلمية المعاصرة لبداية الاستيطان في الجزيرة العربية ـ حسب ما كشف حتى الآن من أدلة أثرية مادية ـ لأقدم مراحل العصر الحجري القديم[*]، مستدلة في ذلك بما كشف عنه علم الآثار من مستوطنات في شمال المملكة العربية السعودية وجنوبها، تلك المواقع التي أكدت وجود تجمعات بشرية تمكنت من صقل تجاربها الطويلة واستطاعت تسخير البيئة في صناعة أدوات حجرية يعدها المختصون من أقدم ما عرفته البشرية من تقنية في صناعة الأدوات الحجرية[2].

إن المنطقة بتنوع تضاريسها وتوفر مصادر المياه فيها آنذاك، كانت مصدر جذب للعنصر البشري منذ أقدم مراحل الاستيطان البشري في الجزيرة العربية[**]، ولكن بسبب قلة الأبحاث العلمية المنظمة عن المنطقة، وتعرض كثير من أدلة تلك العصور ـ نظراً لتقادم زمنها ـ للضياع والاندثار فلم يتم سوى تسجيل مواقع تعود إلى العصر الآشولي الأوسط نحو ٢٥٠ ألف سنة قبل الوقت الحاضر، جاءت من مواقع متفرقة في حرة خيبر، وبالقرب من العلا، وتمثلت في مجموعات من الأدوات الحجرية المتنوعة كالفؤوس، والقواطع والمعاول ذات الأسطح الثلاثية، وأدوات الطرق[3]، وهذه الأدوات من بين الأدوات التي وظفها إنسان المنطقة في بعض جوانب اقتصاده المعيشي خلال تلك الحقبة الزمنية، وعلى ما يبدو في ضوء الاكتشافات الأثرية المعاصرة أن استيطان

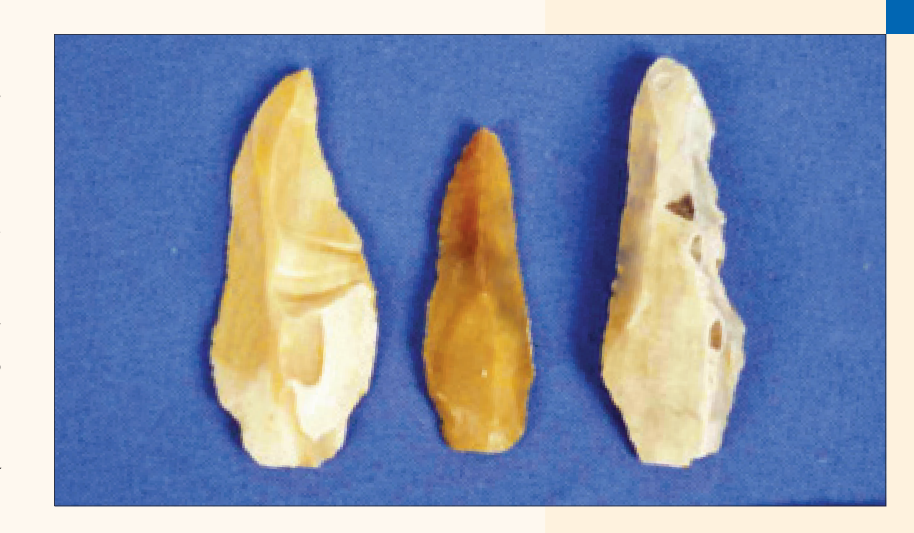
(١) عبدالباسط بدر، *التاريخ الشامل للمدينة المنورة*. ط١، (المدينة المنورة: ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م)، جـ١، ١٣٠، ١٣١.

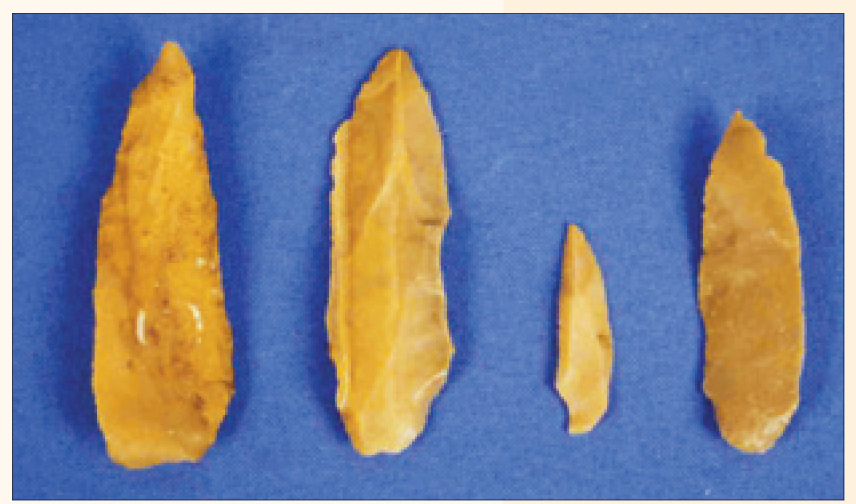
(٢) من أقدم مواقع الاستيطان البشري التي كشف عنها حتى الآن في الجزيرة العربية موقع نجران في جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وموقع الشويحطية في شمال غرب المملكة العربية السعودية، انظر: يوسف مختار الأمين، «العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية: دراسة تقويمية»، *أدوماتو*، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ع٨، (الجوف: ١٤٢٤ هـ)، ١٠ ـ ١٢.

(٣) سعد بن عبدالعزيز الراشد، وآخرون، *آثار منطقة المدينة المنورة*، (الرياض: وزارة التربية والتعليم، وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣ هـ)، ٦١.

(*) لمزيد من التفاصيل، انظر: الباب الثالث، (الآثار والمواقع التاريخية): الفصل الأول.

(**) لمزيد من التفاصيل، انظر: الباب الأول، (الخصائص الجغرافية): الفصلان الثالث والسادس.





أدوات حجرية كالفؤوس والقواطع والمعاول ذات الأسطح الثلاثة من العصر الآشولي الأوسط(*)

الإنسان استمر في منطقة خيبر، خصوصاً على ضفاف الأودية وبالقرب من سفوح الجبال التي تم العثور فيها على عدد من المصنوعات الحجرية من بينها الأنصال والشفرات والمكاشط والأزاميل، وتميزت بتقنية عالية في الصنع، كما تظهر عليها سمات تقنية صناعة العصر الحجري الأوسط، ما يعني أن إنسان المنطقة كان مستقراً ومتعايشاً ـ آنذاك ـ مع بيئته، ويسعى إلى تطوير أدواته مستفيداً من التراكمات الحضارية وتجاربه المستمرة في محيطه البيئي في منطقة المدينة المنورة.

استمر إنسان المنطقة في توظيف موارد بيئته فيما يخدم تطوير سبل معاشه مستفيداً من ذلك التحسن المناخي الذي طرأ على المنطقة خلال العصر الحجري الحديث (نحو عشرة آلاف سنة قبل الوقت الحاضر) الذي نتج منه تحول تدريجي نحو الجفاف، ما جعل التجمعات السكانية في أرجاء المنطقة تلجأ إلى التجمع حول مناطق تتوفر فيها مصادر المياه، ما أدى إلى نمو المجتمعات السكانية وإلى قيام ما يمكن أن يطلق عليه بداية نشوء المستوطنات السكانية، ويمثل ذلك ما كشف النقاب عنه على ضفاف وادي الغرس في حرة خيبر من منشآت معمارية تمثلت في سلسلة من الجدران المنخفضة، وما ينتشر فيها من مجموعة متنوعة من المصنوعات الحجرية كالمكاشط الصوانية والرُّحي والرقائق الحجرية المشحوذة الوجهين.

ويتجسد نشاط إنسان المنطقة خلال العصر الحجري الحديث بشكل واضح في تلك المنشآت المعمارية التي جاءت على هيئة دوائر حجرية ومذيلات تنتشر بشكل واسع ومكثف في حرة خيبر وفي حرة العويرض وعلى قمم الجبال وفي سفوحها، كما هو متمثل في تلك الدوائر الحجرية في جبل عير جنوبي المدينة المنورة، وفي الجهة الغربية من جبال البيضاء في الأجزاء الشمالية من المدينة المنورة، أو على ضفاف الأودية كتلك المنشآت المعمارية في وادي العقيق ووادي الغرس[١].

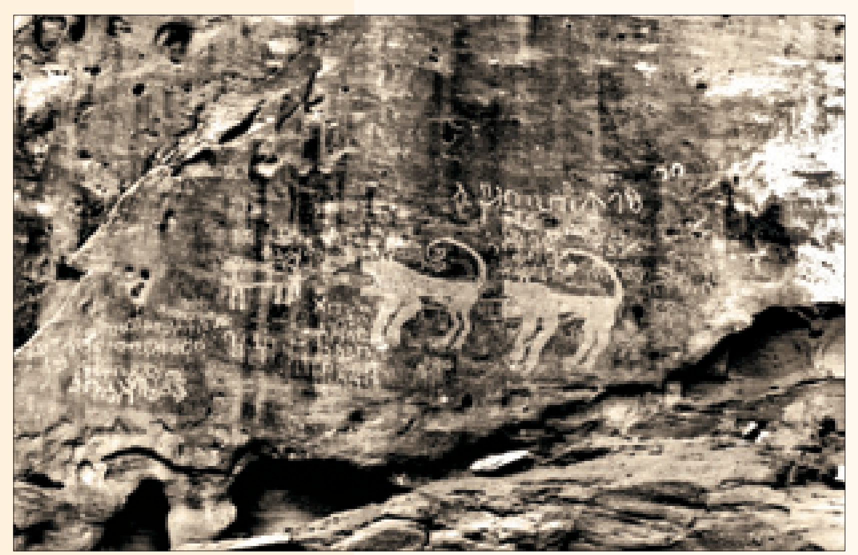
وتشير مواقع العصر الحجري الحديث المكتشفة حتى الآن في المنطقة إلى أن ثمة تحولاً طرأ على أسلوب حياة الإنسان

(١) سعد بن عبدالعزيز الراشد، وآخرون، *آثار منطقة المدينة المنورة*، (الرياض: وزارة التربية والتعليم، وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣ هـ)، مرجع السابق، ٦٢ ـ ٦٥.

(*) المصدر: وكالة الآثار والمتاحف.


جبل عير

في المنطقة تمثل في ازدياد عدد سكانها، وقدرته على استغلال موارد البيئة في جمع القوت وبناء المنشآت المعمارية، وتحسن ملحوظ في تقنية صناعة أدواته الحجرية، ما مهد لنشوء المستوطنات التي تعتمد في اقتصادها على الزراعة البدائية والصيد، ومع استمرار حركة التطور الثقافي لإنسان المنطقة تمكن من تدجين كثير من النباتات والحيوانات، ما كان له الأثر الواضح في تعزيز الاستقرار ونشوء المستوطنات والقرى والبلدات في المنطقة، وتزامن ذلك مع تزايد في وعي إنسان تلك الفترة الزمنية؛ فكثير من الرسوم الصخرية المنتشرة في أرجاء متفرقة من المنطقة،خصوصاً تلك العائدة للعصر الحجري الحديث(*)، تشهد أن إنسان المنطقة كان يسعى نحو تطوير سبل حياته، ما انعكس بدوره على تطور ملموس في فكره الديني والاجتماعي، ومهد لانتقاله من عصر ما قبل التاريخ إلى عصر ما يمكن أن يطلق


رسوم صخرية من العصر الحجري الحديث(**)

عليه اسم عصر نشوء الحضارات القديمة خلال الألف الثالث قبل الميلاد، تلك الفترة التي شهدت أنماطاً من التنظيمات الاجتماعية تبلورت في ظهور زعامات أو مشيخات تتولى إدارة شؤون التجمعات السكانية وتنظيمها، وشهدت هذه الفترة أيضاً تطوراً في المعتقدات

(*) لمزيد من التفاصيل، انظر: الباب الثالث، (الآثار والمواقع التاريخية)، الفصل الأول.

(**) Humbertoda Silveira, Najd, Op. Cit., 1992.

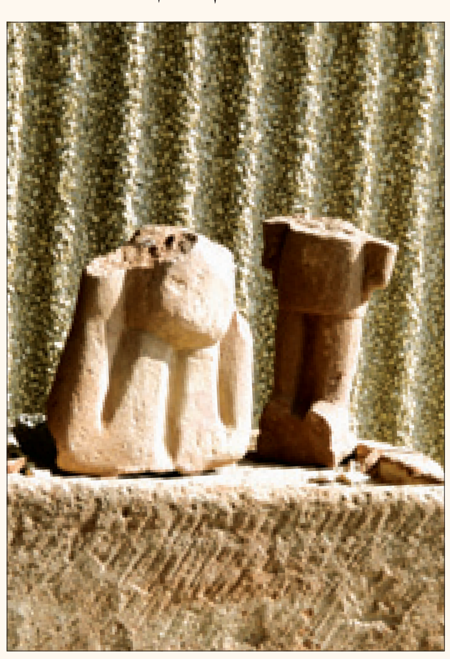
الدينية، وتزايداً في حركة الاتصال بين مناطق التجمعات السكانية، ما أدى إلى إثراء التجربة الإقليمية وظهور ملامح التأثير والتأثر بين المدن والقرى في الجزيرة العربية مع بلاد الشام والرافدين ومصر، وانعكس على تقدم في مجريات التطور الثقافي لإنسان المنطقة عبر مسيرة حياته الطويلة، الأمر الذي مهد لدخوله في مرحلة جديدة تبلورت خلال نهاية الألف الثاني ومطلع الألف الأول قبل الميلاد، وظهرت نتائجها في نشوء الأنظمة السياسية ذات التركيبة المعقدة وفق مقاييس تلك الفترة.

وهكذا استطاع إنسان منطقة المدينة بفضل استغلاله الأمثل لمخرجات بيئته المحلية وتفاعله معها أن يسير من خلال نسق حضاري متجانس ومتدرج نحو التطور والارتقاء بمفاهيمه الفكرية والاجتماعية من عصر إلى آخر، بدأت ملامحه تتراءى بشكل واضح مع مطلع الألف الأول قبل الميلاد، حينما تمكن إنسان المنطقة من الانتقال من عهد المشيخة القبلية إلى عصر جديد تبلورت من خلاله مفاهيم الفكر السياسي، وأفضى إلى ما يمكن للمرء أن يسميه عصر الممالك العربية القديمة، وقد شهدت المنطقة خلال ذلك العصر قيام ممالك متتابعة ذات نظم سياسية تعتمد على توارث الحكم من الأب إلى الابن، ومن تلك الممالك العربية القديمة التي سادت في منطقة المدينة المنورة مملكة دادان، ومملكة لحيان، ومملكة الأنباط.

لم تتضح بعد ـ بسبب قلة الدراسات الآثارية والتاريخية في المنطقة ـ ملامح التكوينات السياسية التي سادت في المنطقة قبل الألف الأول قبل الميلاد؛ فالدراسات العلمية لم تقف حتى الوقت الراهن على أسماء الممالك والتنظيمات السياسية خلال تلك الفترة، هذا على العكس من الخلفية التاريخية عن المنطقة خلال الألف الأول قبل الميلاد وما يليه، إذ أمكن التعرف على أسماء عدد من الممالك والدويلات التي سيطرت على المنطقة أو أجزاء منها، وفيما يلي عرض موجز لها:

ثانياً ـ مملكة دادان (العلا): (*)

مملكة دادان هو الاسم القديم لمنطقة العلا في شمال غرب المملكة العربية السعودية؛ ما يعني أن هذه المملكة اتخذت من اسم موطنها علماً لمملكتها، وفي ضوء ما تشير إليه شواهد الآثار الدادانية نفسها يتضح أن مملكة دادان اتخذت من المكان الواقع على مسافة نحو ثلاثة كيلومترات شمال شرقي مدينة العلا القديمة والمعروف اليوم باسم الخريبة مركزاً



من تماثيل مملكة دادان

(*) لمزيد من التفاصيل، انظر: الباب الثالث، (الآثار والمواقع التاريخية)؛ الفصل الأول.



نقوش ورسوم صخرية دادانية

لها[١]، ثم سيطرت منه على منطقة الحجر (مدائن صالح حالياً) والمناطق المحيطة بواحة العلا.

إن المعلومات عن التاريخ السياسي والاجتماعي لمملكة دادان لا تزال قليلة بالمقارنة مع مثيلاتها من ممالك شمال الجزيرة العربية اللحيانية والنبطية، إلا أن رواية المصادر التي تحدثت عن دادان المكان والمملكة تؤكد وجود مملكة عربية حملت اسم مملكة دادان، واتخذت من العلا مركزاً لها، كما كشفت هذه المصادر عن جملة من المسائل في التاريخ السياسي والاجتماعي لمملكة دادان.

لقد تحدثت الآثار والنقوش الدادانية التي كشف النقاب عنها في منطقة دادان (العلا) عن طبيعة السيادة الدادانية في واحة العلا، إذ يشير أحد النقوش الدادانية إلى أن هرم السلطة في دادان كان يقوم عليه شخص بمنصب ملك، ويتضح ذلك جلياً في شاهد قبر الملك (كبر إل بن متع إل)[٢] الذي نعت في متن النص بأنه ملك دادان، وعلى ما يبدو أن هذا الملك ورث الحكم من أبيه (متع إل)، فقد عثر حسين أبوالحسن على نقش داداني[٣] على قمة جبل إثلب الواقع في الجهة الشرقية من الحجر (مدائن صالح)، معناه (تيم بن زبدة حرس متع إل ودادان)[٤].

وبما أن النقش لم يشر مباشرة إلى منصب (متع إل)، فإن مضمون النقش وارتباط حراسة متع إل باسم دادان، وكذلك فإن ما جاء في نقش الملك الداداني (كبر إل) آنف الذكر من أنه بن لمتع إل، يعزز من أن (متع إل) هذا كان أيضاً من ملوك دادان، ولعله أبوالملك الداداني (كبر إل بن متع إل)، ومن بين النقوش التي تسلط الضوء على السيادة الدادانية على منطقة العلا، تلك النقوش التي عثر عليها أيضاً مكتوبة على صخور قمة جبل إثلب في الجهة الشرقية من الحجر (مدائن صالح)، حيث الإشارة فيها إلى قيام مجموعة من الأشخاص بتسجيل نقوش دادانية تحدثت عن قيامهم بحراسة دادان[٥]، ومضمون هذه

(١) عبدالله بن آدم نصيف، العلا: *دراسة في التاريخ الحضاري والاجتماعي*، (الرياض: ١٤١٦ هـ /١٩٩٥م)، ٨.

(٢) II, Publications de la Sociéte Française des Fouilles Archéologiques, 138. Paris 1909-1914, ; Savignac, R. Mission archéologique en Arabie, Vols. I - A. Jaussen.

(٣) حسين بن علي أبوالحسن، *نقوش لحيانية من منطقة العلا: دراسة تحليلية مقارنة*، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م)، ٣١٣.

(٤) نظراً لطبيعة الموسوعة لم تدون النصوص الآثارية، واكتُفي بمعناها، ويندرج هذا على باقي النصوص في هذه المنطقة.

(٥) أبوالحسن، حسين بن علي. نقوش لحيانية من منطقة العلا، مرجع سابق، ٢٥٧ - ٣٠٠.

النقوش يشير بوضوح إلى جزء من منظومة الهيكل السياسي والإداري للمملكة الدادانية في منطقة العلا؛ فقيام أولئك بتناوب أعمال الحراسة على دادان المكان والمملكة، يؤكد على وجود منظومة دفاعية تحفظ الأمن في دادان، وتصد عنها أي هجوم طارئ قد يهدد مصالحها ويقضي على كيانها السياسي.

من جانب آخر قد يشير ذلك إلى أن مملكة دادان وقت كتابة هذه النقوش كانت في حالة تأهب، وتعيش حياة أمنية غير مستقرة، ما تطلب قيام أولئك بالمرابطة على قمة جبل إثلب المطل على واحة دادان لكشف أمر أي سرية قبل أن تهاجم مملكتهم على حين غرة.

ومن النقوش الدادانية التي تتحدث عن الكيان السياسي لمملكة دادان، نقش داداني[١] معناه: «نوران بن حاضر وكتب (النقش) في أيام جشم بن شهر وفي أيام عبد والي دادان في فترة حكم... ». إن النقص الذي أصاب نهاية النقش حرمنا من معرفة اسم الحاكم الذي كان يحكم دادان وقت كتابة النقش، فهل هو ملك داداني، أم أن دادان فقدت سلطتها السياسية على المنطقة، وأصبحت - آنذاك - تدار من قبل حاكم آخر؟ ولكن على الرغم من ذلك، فذكر كلمة (فحت) في متن النقش التي تفيد معنى (والي) تنطوي على دلالة مهمة في تاريخ مملكة دادان السياسي، فالإشارة هنا تؤكد على أن دادان كانت - آنذاك - تحت ولاية حاكم محلي، فهل هذا الحاكم تابع للملك الداداني نفسه[٢]، أم هو حاكم آخر يقيم خارج منطقة دادان، وهذا الوالي ينوب عنه في إدارة شؤون منطقة دادان؟

ومن جهة أخرى جاء ذكر دادان في المصادر غير الدادانية في عدد من نقوش تيماء الثمودية، حيث عثر في جبل غنيم على مجموعة من النقوش تؤرخ لحرب وقعت في دادان[٣]، كما أشارت مجموعة من نقوش منطقة (رم) الواقعة جنوب غرب تيماء كتبت من قبل أشخاص من أهل تيماء إلى إقامتهم في دادان على نحو: (فلان بن فلان حلَّ في دادان)[٤].

وضمن إطار العلاقة بين مناطق شمال الجزيرة العربية وبلاد الرافدين، يجد المرء في المصادر المسمارية، منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد، إشارات في الحوليات الآشورية والبابلية تتحدث عن تلك العلاقة التي اتسمت في الغالب بالصراع الدائم بين ممالك شمال الجزيرة العربية وقبائلها وحكام الدولة الآشورية والبابلية. وبغض النظر عن أسباب ذلك الصراع، وما آل إليه من أحداث تاريخية[٥]، فقد اشتملت الكتابات البابلية والآشورية وما سجله ملوكها في حولياتهم على معلومات مهمة حول تاريخ ممالك شمال الجزيرة العربية وقبائلها خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، ومن بينها دادان المكان والمملكة؛ فقد جاء ذكرها في نص (حران) الذي تحدث عن حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، ضمن المناطق التي يذكر النص أن نبونيد احتلها.

وعلى ما يبدو - من مضمون النص - أن نبونيد أحكم سيطرته على منطقة دادان طوال فترة إقامته في تيماء التي امتدت بين عامي ٥٤٣ و٥٣٥ ق.م، ويشتمل النص نفسه على إشارة مهمة إلى ملك دادان (ميش شَرُّ شا دَ - دَنَ)[٦]، وعلى الرغم من أن النص لا يفصح عن اسم الملك الداداني، أو عما فعله معه

(١) Jaussen, Savignac, Mission archéologique en Arabie, 349; W. Caskel, Lihyan, und Lihyan=isch (Arbeitsgemeinschaft für Forschung des Landes Nordrhein-Westfalen, Geisteswissenschaften, Heft 4), Köln 1954, p. 55.

(٢) إن صح ذلك فقد يكون نظام السلطة وتدرج المناصب في مملكة دادان مشابهاً لذلك النظام الذي عرفته الدولة السبئية والدولة المعينية في جنوب الجزيرة العربية، فإلى جانب الملك كأعلى سلطة في هرم وظائف الدولة، يتولى رئاسة المدن ولاة، يطلق عليهم في النقوش العربية الجنوبية اسم (كبير).

(٣) Reed, W Ancient Records from North Arabia (Near and Middle East Series 6), Toronto F.Winnett, 1970, p. 20, 21, 22, 23, 33.

(٤) خالد محمد أسكوبي، *دراسة تحليلية مقارنة لنقوش من منطقة (رم) جنوب غرب تيماء*، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٠ هـ)، ٢٠، ٥٤، ٥٥، ١٦٧.

(٥) سعيد بن فايز السعيد، *حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية*، (الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، بحوث تاريخية ٨، ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠م)، ١٩ - ٢٢، ٣٤ - ٣٧.

(٦) المرجع السابق، ٩، ٢٧، ٢٨، ٧٩.

نبونيد، فإن الإشارة فيه تؤكد أن دادان كانت إبان حملة الملك البابلي نبونيد على المنطقة ذات كيان سياسي مستقل، وكانت تتمتع بنظام سياسي مركزي في دادان والمناطق المحيطة بها.

ثمة إشارات أخرى في المصادر الآشورية جاءت بصيغة (دِدنـم، تيدنم)، وقد حاول بعض الدارسين ربطها بددان في شمال غربي الجزيرة العربية[١]. ولكن تلك الإشارات يجب أن تؤخذ بحذر شديد، فالسياق التاريخي والجغرافي لورود تلك المصطلحات الجغرافية فيها لا يدعم كون المقصود فيها منطقة دادان (العلا) في شمال غربي الجزيرة العربية[٢].

أما في العهد القديم فقد تكرر ذكر دادان، المكان والقبيلة، في عدد من أسفار التوراة، حيث وردت في سفر التكوين[٣] إشارة إلى تحديد أصل الدادانيين، فتارة يجعلهم ساميين من نسل نبي الله إبراهيم عليه السلام وزوجته قطورة، وتارة أخرى وفي السفر نفسه[٤] يجعلهم حاميين من نسل كوش، وعلى الرغم من هذا التفاوت في رواية التوراة عن الدادانيين وأصلهم، فإن المهم في روايات التوراة أنها تؤكد أن الدادانيين أمة لها كيانها المنظم آنذاك، وذات دور مهم في الحياة السياسية والاقتصادية للشرق القديم، وهذا ما تؤكده رواية التوراة نفسها؛ ففي سفر حزقيال[٥] ثمة إشارة إلى أن الدادانيين يعملون بنقل البضائع التجارية ويقومون على تسويقها في مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط، وفي السفر نفسه[٦] يقرن بين الدادانيين والسبئيين الذين أكدت رواية المصادر أنهم كانوا في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد يتولون أعمال نقل البضائع التجارية من مناطقهم في جنوب بلاد العرب إلى مناطق متفرقة من العالم القديم[٧].

ومن بين أبرز المصادر التي تمدنا بمعلومات تاريخية عن الدادانيين في منطقة العلا ما ذكرته نقوش جنوب الجزيرة العربية (نقوش المسند)، فقد تحدثت رواية النقوش المعينية عن دادان والدادانيين في عدة مواضع، من بينها تلك الوثائق التي كتبت على مسلات حجرية في معبد رصفم في معين (قرناو قديما) التي أشارت إلى دادان الأرض والشعب[٨].

وتشير مضامين هذه النقوش إلى قيام مجموعة من أفراد القبائل المعينية بالزواج من نساء دادانيات، تنتمي أصولهن إلى دادان في منطقة العلا، ولعل المهم في الأمر أن مجموعة هذه الوثائق جاءت ضمن قوائم طويلة سُجل فيها قيام أفراد من القبائل المعينية في جوف اليمن بالزواج من نساء أجنبيات ينتمين إلى أقوام وشعوب متعددة في بلدان الشرق القديم[٩]، وفيها جعلت دادان في مصاف الدول والشعوب التي صاهرها المعينيون، ما يشير إلى أن دادان ـ آنذاك ـ كانت تشكل كياناً مستقلاً تربطه علاقات اجتماعية مع قبائل جنوب الجزيرة العربية.

أما المصادر العربية فقد اكتفت إشاراتها بذكر اسم دادان المكان، إذ يقول عنه ياقوت في معجمه ما نصه: (الديدان مدينة حسنة كانت في طريق البلقاء من ناحية الحجاز، خربت)[١٠]، أما ابن شجاع فيذكر دادان اسماً لوادٍ متسع يقع جنوب العلا[١١].

وفي ضوء رواية المصادر عن الدادانيين ومملكتهم، فإن المقاربة فيما بين معطياتها تشير بجلاء إلى أن ثمة مملكة عربية ذكرتها

(١) Albright, W.F. Dedan, in: Geschichte und Altes Testament, Albrecht Alt zum Siebzigsten Geburtstag, Tübingen 1953, P.1- 12.

(٢) Scagliarini, F. La chronologie dedanite et lihyanite: mise au point. In: H. Lozachmeur (ed), Presence arabe dans le Croissant fertile avant l.'Hegire, Actes de la table ronde internationale, Paris 1996, 125.

(٣) سفر التكوين ٢٥، ١ - ٤.

(٤) سفر التكوين ١٠، ٧، والإشارة هنا إلى قيام الدادانيين بتوريد (طنافس للركوب) إلى مدينة صور، الواقعة على السواحل اللبنانية اليوم.

(٥) سفر حزقيال ٢٠، ٢٧.

(٦) سفر حزقيال؛ ١٣، ٣٨.

(٧) السعيد، سعيد بن فايز. حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، مرجع سابق، ٣١، ٣٢.

(٨) Garbini, G. (Ed.), Iscrizioni sudarabiche, vol. I. Iscrizioni minee. (Pubblicazioni del Seminario di Semitistica, Ricerche 10), Napoli 1974, 392D/5-8-3/297, 4-1/398, 31-A29, 392, 36-A/34, 392, 10-B/7392, 16-B/14, 392, 43-B/45, 392,4-1/393 ؛ سعيد بن فايز السعيد، «زوجات المعينيين الأجنبيات في ضوء نقوش جديدة»، *أدوماتو*، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ع٥، (الجوف: ١٤٢٢ هـ /٢٠٠٢م)، النقش رقم: ٢، ٥٨.

(٩) المرجع السابق، ٥٦، ٥٧.

(١٠) ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، جـ٢، ٥٣٦.

(١١) حمد الجاسر، «ليس الحجر من مدائن صالح»، *العرب*، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ج١، ٢، (الرياض: رجب، شعبان ١٣٩٨ هـ / تموز، آب ١٩٧٨م)، ٧.

المصادر باسم (مملكة دادان)، وحددت مركز استيطانها في دادان (العلا حالياً) في شمال غرب المملكة العربية السعودية، كما أشارت إلى أن سكانها كانوا على درجة عالية من التنظيم السياسي والاجتماعي، ما مكنهم من تأسيس علاقات سياسية واجتماعية مع الأمم والشعوب داخل الجزيرة العربية وخارجها، وهيأ لهم فرصة للقيام بدور فعال في اقتصاد المنطقة، كما أسهموا مع غيرهم من قبائل جزيرة العرب بنقل البضائع التجارية إلى مناطق الاستهلاك في أسواق الشرق القديم.

وعلى الرغم من أن رواية المصادر عن مملكة دادان وقبائلها لا تتحدث عن الإطار الزمني لنشأة هذه المملكة، فإن السياق التاريخي لسير الأحداث التي أشارت إلى الدادانيين فيها ترجح أن مملكتهم شهدت ازدهاراً اقتصادياً، وكانت خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد في أوج قوتها، وقد استمرت على هذه الحال حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد الذي شهد بروز قبيلة لحيان في المنطقة وظهورها على مسرح الأحداث ـ آنذاك ـ كقوة سياسية تطالب بزعامة مناطق الدادانيين في وادي العلا.

ثالثاً ـ التوسع البابلي:

تعرضت مناطق متفرقة في شمال الجزيرة العربية وشمالها الغربي لعدد من الحملات الحربية التي قادها حكام بابل وآشور ضد القبائل والممالك العربية في الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية، على إثر تزايد الهيمنة البابلية والآشورية في الشرق القديم مع مطلع الألف الأول قبل الميلاد، وما طبع به حكام بلاد الرافدين من نزعة توسعية في المناطق المحيطة بهم، وقد كانت حملات الحكام البابليين والآشوريين الحربية تتسم في بادئ أمرها بالغارات الخاطفة على المنطقة، وتعيين الحكام الموالين، أو إثقال كاهل الشعوب المحلية في شمال الجزيرة العربية بدفع الإتاوات الكبيرة[١]، الأمر الذي تسبب في إضعاف حكامها وجعلهم غير قادرين على الوقوف في وجه السياسة التوسعية البابلية والآشورية في مناطقهم، وعلى الرغم من محاولاتهم المتكررة للتخلص من التبعية لحكام بلاد آشور وبابل[٢]، إلا أن قوة الآلة الحربية الآشورية والبابلية وجبروتها لم تترك لهم فرصة سانحة للاستقلال التام بمناطق نفوذهم.

وعلى إثر سقوط الدولة الآشورية في بلاد الرافدين على يد الملك البابلي نبوبولاصر ٧٢٥ ـ ٦٠٥ق.م، وتفرد الدولة البابلية بميزان القوى في المنطقة، واصل الحكام البابليون سياستهم التوسعية في شمال الجزيرة العربية، ولكن تلك السياسة سرعان ما تحولت من مفهوم الغارات الخاطفة إلى الهيمنة المباشرة، وهذا ما حدث بالفعل إثر وصول الملك البابلي نبونيد إلى دفة حكم الدولة البابلية في عام ٥٥٦ق.م الذي استبدل تطبيق مبدأ الاحتلال المباشر والإقامة في المناطق المحتلة بدل سياسة أسلافه.

ولم يمض سوى سنتين من تولي نبونيد مقاليد الحكم في بابل حتى أقدم في مطلع السنة الثالثة على التوجه على رأس حملة نحو الأجزاء الشمالية الغربية من الجزيرة العربية، واتخذ من (تيماء) في شمال غرب الجزيرة العربية مركزاً لإقامته في المنطقة، كما يؤكد ذلك نص (نبونيد ـ كورش) الذي معناه[٣]:

(١) السعيد، سعيد بن فايز. حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، مرجع سابق، ١٩ - ٢٢.

(٢) المرجع السابق، ٣٦، ٣٧.

(٣) Smith, S. Babylonian Historical Texts Relating to the Capture and Downfall of Babylon, Hildesheim,1975, pp. 84 - 85; Beaulieu, P. "The Reign of Nabonidus King of Babylon 556 - 539 B.C." Yale Near Eastern Researches, 10 London 1989, p. 171؛ السعيد، سعيد بن فايز. حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، مرجع سابق، ٢٥ - ٢٧.

«وهو (نبونيد) شق طريقاً بعيداً، وحال وصوله، قتل يَتَر ملك مدينة تيماء بالسلاح، وأراق (دماء) أنعام أهل المدينة (أي مدينة تيماء) وأنعام أهل المناطق المحيطة بها، أما هو نفسه فأقام في تيماء، ومعه أقامت القوات الأكدية، وجمَّل المدينة (تيماء)، وبنى قصراً مشابهاً لقصر بابل، وبَنَى..... وأودع ثروة المدينة (أي مدينة تيماء) وثروة المنطقة المحيطة بها فيه..... والحرس يحيطون به..... ويتحسرون (أي أهل تيماء) بصوت عالٍ.....وجعلهم (أي أهل تيماء) يحملون اللبن (الآجر) والسلال، من جراء العمل.....».

ويتضح من رواية النص أن نبونيد قصد في بادئ حملته مدينة تيماء في شمال غرب الجزيرة العربية، ولكن أهدافه لم تتحقق باحتلاله لتيماء وتحصين نفسه فيها، بل أغار منها على عدد من المراكز الحضارية التي تقع في إطار حدود منطقة المدينة اليوم، وهي حسب إشارة نص نبونيد نفسه الذي معناه[١]: (وأنا خرجت من مدينتي بابل، وسلكت طريقي إلى مدينة تيماء، ثم مدينة دادان، ثم مدينة فدك، ثم مدينة خيبر، ثم مدينة يديع وحتى مدينة يثرب، عشر سنوات (متتالية) تجولت بينها، مدينتي بابل لم أدخلها).

وينبئ مضمون النص أن نبونيد وجه من مقر إقامته الدائم في تيماء غارات متتالية على عدد من الحواضر التاريخية في منطقة المدينة المنورة، هي: دادان[٢]، ثم فدك[٣] وخيبر ويديع[٤] ثم يثرب[٥]، وتمكن من الاستيلاء عليها، وأخذ طوال مدة إقامته التي استمرت عشر سنوات متتالية يتجول بينها ولم يبرحها قط إلى عاصمة ملكه في بابل التي أناب عنه فيها ابنه وولي عهده بيلشاصر، أي أن تلك الحواضر في شمال وشمال غرب الجزيرة العربية كانت إبان إقامة نبونيد في المنطقة خاضعة لسيطرته وإشرافه المباشر. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: ما الأسباب الكامنة وراء احتلال نبونيد لجميع تلك البلدان، ولماذا لم يكتف باحتلال تيماء وحدها؟

لقد انشغل الباحثون وما زالوا يسعون إلى محاولة التعرف على الأسباب الجوهرية لترك نبونيد عاصمة حكمه في بابل وخروجه منها ليتخذ من تيماء في شمال غرب الجزيرة العربية عاصمة ثانية لإدارة مملكته المترامية الأطراف آنذاك، وقد تراوحت آراء الدارسين في تبرير خروج نبونيد وتوسعه في الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية بين أسباب دينية أو سياسية أو اقتصادية[٦]. ولكن المرء حينما يقارن بين تلك الأسباب ويناقشها ضمن إطار السياق التاريخي العام، وما واكب تلك الفترة الزمنية من أحداث تاريخية في بلاد بابل، يبدو له أن الأسباب الاقتصادية هي التي جعلت نبونيد يتوسع في الأجزاء الشمالية والشمالية الغربية من الجزيرة العربية ويقدم على احتلال حواضرها، فمن المعروف من خلال رواية النصوص البابلية نفسها أن الدولة البابلية كانت ـ آنذاك ـ تعيش أزمة اقتصادية تفشى خلالها الفقر في أوساط المجتمع، ما أدى إلى تزايد تدهور الأوضاع السياسية في أرجاء مملكة نبونيد[٧]، ومن أجل إيجاد حلول لفك تلك الأزمة لم يجد نبونيد بداً من الخروج من عاصمة ملكه على رأس جيشه إلى حيث المناطق الحيوية التي من شأن السيطرة عليها وتوجيه مواردها إلى مملكته فك الخناق الاقتصادي الذي كانت تعيشه آنذاك، وهكذا وقع اختيار نبونيد على مناطق شمال الجزيرة

(١) Gadd, C. J. "The Harran Inscriptions of Nabonidus", Anatolian Studies 8, H2 A/B, 1958, Col. I , pp. 22-26؛ السعيد، سعيد بن فايز. حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، مرجع سابق، ٨، ٩.

(٢) العلا حالياً في شمال غرب المملكة العربية السعودية.

(٣) هو ما يعرف اليوم باسم الحائط، انظر: حمد الجاسر، *في شمال غرب الجزيرة: نصوص، مشاهدات، انطباعات*، (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة، ١٤٠١ هـ/١٩٨١م)، ٢٩٥ - ٣٠٨، ٥١٠.

(٤) هو ما يعرف اليوم باسم الحويط، انظر: المرجع السابق، ٥٢٤، ٦١٥، ٦١٦.

(٥) المدينة المنورة.

(٦) انظر مناقشة أسباب حملة نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية عند: السعيد، سعيد بن فايز. حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، مرجع سابق، ١٠ - ٢٤.

(٧) المرجع السابق، ١٦ - ١٨.

العربية، تلك المناطق التي كانت ـ حسب رواية الشواهد التاريخية ـ خلال الألف الأول قبل الميلاد تشهد ازدهاراً اقتصادياً، فقد كانت حواضر تلك المنطقة في يثرب (المدينة المنورة)، وخيبر، ودادان (العلا حالياً) مراكز تجارية ومحطات رئيسة على الطريق التجاري القديم (طريق البخور) الذي كانت تنقل عبره البضائع التجارية من الهند وشرق إفريقية وجنوب الجزيرة العربية إلى مناطق الاستهلاك في بلدان شرق المتوسط وغربه، وقد كان سكان تلك الحواضر في شمال غرب الجزيرة العربية بحكم توجيه اهتمامهم إلى نقل البضائع التجارية وتسويقها في أنحاء متفرقة من العالم القديم يحكمون سيطرتهم التامة على توجيه توزيع تلك البضائع التجارية في الأسواق التي كانت تحقق لهم أكبر قدر من العوائد الربحية، فكان تركيزهم على ما يبدو على أسواق بلاد الشام ومصر[١]، الأمر الذي حرم بلاد بابل من تدفق البضائع التجارية إلى أسواقها وما يترتب عليه من انتعاش اقتصادي تعم فوائده جوانب حياتية مختلفة[٢].

ومن المرجح أن نبونيد كانت تحدوه ـ آنذاك ـ رغبة في توجيه مسار الحركة الاقتصادية الدولية والسيطرة عليها وتوظيفها في خدمة مصالح دولته، وهذا ما تحقق له إثر احتلاله مدن تيماء، دادان، يثرب، خيبر، وفدك ويديع، تلك الحواضر التاريخية التي كانت تمثل عنق الزجاجة لمسار الطريق التجاري القديم، ومن يحكم سيطرته عليها يمكنه التحكم في مسار حركة التجارة الدولية في الشرق القديم.

وعلى ما يبدو من رواية نص الملك البابلي نفسه فإن نبونيد تحققت له السيطرة على موارد تلك البلدان في شمال الجزيرة العربية طوال عشر سنوات متتالية استمرت من عام **٥٥٣** ق.م حتى اضطر إلى ترك بلدان شمال الجزيرة العربية عائداً إلى عاصمة ملكه في بابل عام **٥٤٣**ق.م[٣].

رابعاً ـ مملكة لحيان:

تعود معلوماتنا عن مملكة لحيان إلى ظهور قبيلة بني لحيان على مسرح الأحداث السياسية وتمكنها من السيطرة على زمام الأمور في منطقة دادان (العلا حالياً في شمال غرب المملكة العربية السعودية)، أما قبل ذلك فليس ثمة معلومات مؤكدة تتحدث عنهم أو تساعد على تتبع أصلهم، وعلى الرغم من ذلك يعتقد بعض الباحثين أن اللحيانيين من أصول عربية جنوبية[٤]، هاجروا إلى مناطقهم الجديدة في واحة العلا من جنوب بلاد العرب، ويستدلون على ذلك من خلال نقش عربي جنوبي، نصه: (أب ي دع/ذ ل ح ي ن)، ومؤداه: «أب يدع من قبيلة لحيان»[٥]. والحقيقة أن المرء ليس في وسعه قبول تحديد أصل اللحيانيين من خلال هذا النقش فقط، خصوصاً أن نمط خط النقش لا يشير إلى أنه من النقوش العربية الجنوبية المبكرة، بل إنه يعود إلى فترة لاحقة على استيطان مملكة لحيان في واحة العلا، ما يرجح أن صاحب النقش ربما أنه من أفراد قبيلة لحيان، وكان ـ آنذاك ـ في زيارة إلى جنوب الجزيرة لا نعرف سببها تحديداً، ولكن المعروف أن أفراد قبائل مملكة لحيان عملوا في نقل التجارة البرية من جنوب الجزيرة العربية إلى مراكز الاستهلاك في دول حوض البحر الأبيض المتوسط[٦]. وفي ضوء ذلك يبدو أن (أب يدع اللحياني) تاجر من تجار مملكة لحيان، وأثناء وجوده في جنوب بلاد

(١) سعيد بن فايز السعيد، *العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة*، (الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م)، ١١٥ - ١٢٦.

(٢) السعيد، سعيد بن فايز. حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، مرجع سابق، ١٨.

(٣) انظر مناقشة تفاصيل خروج نبونيد من مناطق شمال الجزيرة العربية: المرجع السابق، ٨١ - ٨٥.

(٤) جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م)، جـ٢، ٢٤٤.

(٥) Semiticarum, Tome V. VI. VII. VIII. Paris 1929. 1935.1950. 1968, 2902, 10. Répertoire d'Épigraphie Sémitique publi par la Commission du Corpus In.

(٦) يشهد على ذلك وجود اللحيانيين لأغراض تجارية في (قرية الفاو حالياً على أطراف الربع الخالي الشمالية)، حيث عثر هناك على عدد من النقوش تذكر اللحيانيين ومعبودهم الرئيس (ذو غيبة)؛ انظر: عبدالرحمن الأنصاري، *قرية الفاو: صورة للحضارة العربية قبل الإسلام*، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٨٢م)، ٢٣.

العرب سطر اسمه بخط عربي جنوبي، وثمة من يرى أن اللحيانيين فرع من قبيلة ثمود العربية الشمالية[١]، دون إيراد أدلة تجعل هذه الفرضية مقبولة، أو حتى تقبل المناقشة.

وترتكز المصادر المعرفية عن تاريخ مملكة لحيان إجمالاً على ما خلفه اللحيانيون أنفسهم من نقوش وآثار مادية في واحة دادان والمناطق المحيطة بها[*]، وعلى تلك الإشارات القليلة عن اللحيانيين في النقوش العربية الجنوبية القديمة، وما ذكره بعض الكتاب الكلاسيكيين في معرض حديثهم عن القبائل والشعوب العربية القديمة، وأخيراً تلك المعلومات القليلة والمقتضبة عن اللحيانيين في المصادر العربية، فضلاً عن تكرار ذكر لحيان القبيلة والمملكة في كثير من النقوش اللحيانية نفسها[٢]، وما جاء عن لحيان في أحد النقوش المعينية[٣] الذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع قبل الميلاد على الأرجح، ويذكر أن شخصاً من قبيلة نسور المعينية عقد قرانه وتزوج من امرأة لحيانية الأصل.

أما في المصادر الكلاسيكية فقد ورد اسم اللحيانيين بصيغة لحيني (Lechiene) عند المؤرخ الروماني بلنيوس[٤] في معرض حديثه عن الشعوب والقبائل في جزيرة العرب، كما أشار لهم أيضاً ديودورس الذي أطلق على خليج العقبة اسم (خليج لحيان)[٥]. وفي المصادر العربية تكرر ذكر بني لحيان في أكثر من موضع. فابن حبيب[٦] يذكر أن شخصاً من بني لحيان اسمه أوس بن قُلاَّم بن بُطينا بن جمهور بن لحيان كان من بين الملوك الذين حكموا الحيرة[٧]. ويضيف ابن حبيب في ثنايا حديثه عن بني لحيان أن (تأبط شراً)[٨] أغار على جبل لبني لحيان يشتار منه عسلاً، كان يأتيه في كل عام، ولكن عيون بني لحيان كشفت أمره، فلم يجد بداً من الهرب لينجو بنفسه من الهلاك[٩]. أما ابن حزم[١٠] فيجعل بني لحيان بطناً من بطون بني هُذيل بن مُدركة. كما تشير المصادر العربية أيضاً إلى أن بني لحيان كانوا عشية ظهور الإسلام يستوطنون في المنطقة الواقعة شمال شرقي مكة المكرمة، وقد كانوا ـ آنذاك ـ على خلاف مع الرسول ﷺ، ما جعله يوجه ضدهم غزوة عرفت في المصادر باسم (غزوة بني لحيان)[١١].

وعند استعراض رواية المصادر التاريخية يتضح أن إشارتها ـ على الرغم من أهميتها ـ عابرة وقليلة بالمقارنة مع ما أدته مملكة لحيان من دور حضاري في تاريخ العرب القديم خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، فالمصادر العربية تذكر لحيان في مراحل تاريخية متأخرة، أي بعد أن تفرق بنو لحيان وانتهت حكومتهم المركزية في واحة دادان (العلا). وحسب رواية الإخباريين العرب يتضح أن العشائر اللحيانية ـ آنذاك ـ تركت مواطنها في واحة العلا، بعضها فضل الهجرة نحو الشمال إلى حيث حيرة النعمان، وبعضها الآخر هاجر إلى الجنوب واتخذوا من الجبال الواقعة شمال شرق مكة المكرمة مواطن جديدة لهم[١٢]. وليس من المستبعد أيضاً أن جزءاً منهم بقي في واحة دادان وتفرعوا إلى عشائر عاشت في ظل السيطرة النبطية على منطقتهم. وفي ضوء ما تحدثت عنه رواية المصادر غير اللحيانية تتبادر إلى الذهن تساؤلات كثيرة لعل من أهمها: من هم اللحيانيون، وأين كانت مواطنهم قبل تفرقهم، وما دورهم الحضاري في إطار تاريخ العرب القديم؟

(١) منذر عبدالكريم البكر، *دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (البصرة: ١٩٩٣م)، ٣٧٩.

(٢) أبوالحسن، حسين بن علي. نقوش لحيانية من منطقة العلا، مرجع سابق، ٣٤٢.

(٣) Garbini, Iscrizioni sudarabiche, 392B, pp. 44-47.

(٤) Plini, G. Natural History, trans. H. Rackham, Vol. 10, Loeb Classical Library, London Cambridge, p. 55.

(٥) Diodourus of Sicily, Diodourus Historia, The Library of History, Translated by C. H. Oldfather, Load Classical Library, 12 vols: 3, New York, 1933, pp. 43.4-5.

(٦) محمد بن حبيب، *كتاب المحبر*، رواية: أبوسعد الحسن بن الحسين السكري، تحرير: إيلزه ليختن شتاين، (بيروت: د ت)، ٣٥٨.

(٧) انظر أيضاً: (Caskel, Lihyan und Lihyanisch, 44) الذي يضيف، نقلاً عن كتاب الأغاني، أن لحيان كان اسم حي يطلق على أحد أحياء الحيرة.

(٨) تأبط شراً هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي، مات نحو عام ٥٣٠م، كان شاعراً وأحد فتاكي العرب، لقب (تأبط شراً) على إثر تأبطه لسيفه ذات مرة، وبعد خروجه جاء من يسأل أمه عنه، فقالت: لا أدري، تأبط شراً وخرج.

(٩) ابن حبيب، محمد. كتاب المحبر، مرجع سابق، ١٩٦، ١٩٧.

(١٠) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م)، ٤٦٦.

(١١) عبدالسلام هارون، *تهذيب سيرة ابن هشام*، (بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي، د.ت)، ٢٣٥.

(١٢) لا يزال مجموعة من بني لحيان يقيمون حتى اليوم في قرية عين شمس شمال شرق مكة المكرمة.

(*) لمزيد من التفاصيل، انظر: الباب الثالث، (الآثار والمواقع التاريخية): الفصل الأول.

أ ـ الإطار الجغرافي لمملكة لحيان:

تشير بقايا الآثار الظاهرة والمنتشرة في الخريبة (دادان قديماً) الواقعة اليوم في سفح جبل الخريبة على مسافة ثلاثة كيلومترات شمال شرقي بلدة العلا القديمة إلى أن اللحيانيين اتخذوا من ذلك المكان مركزاً رئيساً لحكومتهم المركزية وأداروا منه أرجاء البلاد فترة زمنية تربو على خمسة قرون متتالية، وامتد نفوذهم ليشمل دادان بمفهومها الواسع (واحة العلا حالياً)، والحجر (مدائن صالح حالياً) الواقعة على مسافة ٢٢ كم شمال مدينة العلا الحالية. وعلى الرغم من اتفاق الدارسين على حقيقة المقر الرئيس لمملكة لحيان في واحة العلا (دادان) إلا أن آراءهم متعددة فيما يخص الامتداد الجغرافي لحدود مملكة لحيان إبان فترة ازدهارها، فمنهم من يرى[١] في تلك الإشارة التي ذكرها الجغرافي اليوناني أجاثر خريدس (عاش في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد) أن خليج العقبة كان يطلق عليه ـ آنذاك ـ اسم (خليج لحيان) دليلاً على سعة حدود دولة لحيان. بيد أن ذلك يجب أن يؤخذ بحذر شديد، إذ قد لا تعني تلك الإشارة بالضرورة امتداد رقعة الأراضي اللحيانية إلى تلك النواحي البعيدة، ولعل الأقرب إلى الواقع أن تكون الإشارة هنا دليلاً على قوة النفوذ اللحياني خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، تلك الفترة التي شهدت تزايد نفوذ اللحيانيين على مجريات نقل البضائع التجارية في الأجزاء الشمالية الغربية من البحر الأحمر، ما جعل خليج العقبة يطلق عليه ـ آنذاك ـ اسم خليج لحيان.

أما وجهة نظر فرنر كاسل[٢] من أن نفوذ مملكة لحيان امتد إلى واحة الخرج في الأجزاء الجنوبية من منطقة نجد، اعتماداً على تشابه اسم مدينة الخرج مع اسم المعبود اللحياني



جبل الخريبة

(١) محمد بيومي مهران، *دراسات في تاريخ العرب القديم*. ط٢، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠ هـ)، ٥٢٧.

(٢) Op. Cit., Caskel, Lihyan und Lihyanisch, 37.

(خرج)، فلا يعد حجة على امتداد دولة بني لحيان إلى تلك المناطق، خصوصاً إذا ما أخذ المرء في الحسبان البعد المكاني.

والحقيقة إن تشابه كثير من أسماء الأمكنة والأسماء الخاصة في الموروث العربي القديم لا يدل بالضرورة على أي رابط فيما بينها. وثمة من يرى في ذكر بعض أسماء الأمكنة التاريخية في النقوش اللحيانية، مثل اسم المكان (ذعمن) الذي تكرر ذكره في بعض النقوش اللحيانية[1] إشارة إلى امتداد مملكة لحيان شمالاً إلى عمان عاصمة الأردن الحالية[2]، ولكن ذلك يجب ألا يجزم بحقيقة صوابه، فمن المرجح أن اسم المكان (ذعمن) في متون تلك النصوص يدل على أنه من أسماء الأمكنة القريبة من محيط حدود مملكة لحيان في واحة العلا، وفضلاً عن ذلك فإن المرء حين يعيد النظر في تلك النقوش اللحيانية التي جاء في متونها موقع (ذعمن) يتضح أنها من نوع النقوش الإهدائية التي تتحدث عن قيام أشخاص بتقديم قرابين لمعبود مملكة لحيان الرئيس (ذو غيبة)، ومثل هذه النقوش يصعب الأخذ بإشاراتها ـ خصوصاً أسماء الأمكنة ـ لتأكيد امتداد نفوذ سياسي على منطقة بعيدة، فالشواهد التاريخية في النقوش العربية القديمة يرد فيها قيام أشخاص ينتمون إلى ممالك أو قوى سياسية أخرى بتقديم القرابين والهدايا لمعبودات ممالك أخرى، خصوصاً أن الموروث الديني العربي القديم متشابه في شعائره إلى حد كبير، وقيام أولئك الأشخاص المنتمين إلى (ذعمن) حتى لو قبل المرء جدلاً أنهم من عمان (ربة عمون قديماً) عاصمة الأردن الحالية، فمن المرجح أنهم ممن يرتبطون بعلاقات تجارية أو اجتماعية مع اللحيانيين في واحة العلا، أو قد يكونون من أفراد جالية لحيانية كانت تقيم في عمان. ولكن على الرغم من ذلك فإن قيامهم بتقديم القرابين لمعبود لحيان الرئيس (ذو غيبة) لا يعد حجة على امتداد نفوذ دولة لحيان إلى تلك المناطق في شمال جزيرة العرب.



مدائن صالح



نقوش لحيانية

(١) حسين بن علي أبوالحسن، *قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا*، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ٦، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٤٥، ٦٠.

(٢) المرجع السابق، ٧٤.

ومما يعزز من حقيقة استبعاد فرضية امتداد مملكة لحيان إلى تلك المناطق هو عدم تسجيل أي مادة أثرية، سواء من النقوش اللحيانية نفسها أو من موروثاتهم الأثرية في محيطها، علاوة على ذلك فإن جميع النقوش اللحيانية التي ذكر فيها اسم (ذعمن) تنحصر خلال فترة زمنية كانت فيها عمان ومناطقها المحيطة تقع تحت نفوذ قوى سياسية قوية، ولن تسمح لمملكة لحيان بالتدخل ومد نفوذها في محيط أراضيها، كذلك الأمر فيما يخص موقع (بدر) الذي تكرر ذكره في مجموعة من النقوش اللحيانية الإهدائية[١]، وبما أن ربطه بموقع بلدة بدر الواقعة جنوب غرب المدينة المنورة أمر وارد، إلا أن المرجح، إذا ما قبل المرء أن موقع بدر في النقوش اللحيانية هو نفسه موقع بدر الحالي جنوب غرب المدينة المنورة، أن أولئك الأشخاص الذين ذكرت النقوش اللحيانية قيامهم بتقديم قرابين لمعبود مملكة لحيان الرئيس (ذو غيبة)، إما ممن يرتبطون بعلاقات اقتصادية وإما اجتماعية مع مملكة لحيان وشعبها، أو أنهم من اللحيانيين المستوطنين في بدر، أي أن ثمة جالية لحيانية كانت تقيم ـ آنذاك ـ في بدر، وبحكم ذلك لم يجدوا غضاضة في تقديم الهدايا للمعبود (ذو غيبة) عن ممتلكاتهم في بدر، كي يباركها الإله ويرضى عنهم، حسب معتقداتهم، ولعل ما يعزز ذلك هو عدم وجود أي دليل أثري في موقع بدر نفسه يشير إلى سيطرة للحيان ومملكتها في تلك النواحي.

وأخيراً يذهب بعضهم إلى القول إن سلطة اللحيانيين ونفوذهم وصلت إلى تيماء، معتمدين في ذلك على نقش آرامي عثر عليه في تيماء[٢]، يذكر في متنه ما نصه:

١. ف ض ج وط هـ رو ب ر.
٢. م ل ك ز ل ح ي ن.

وقد فسر الدارسون لهذا النقش كلمة ملك الواردة في السطر الثاني منه على أنه اسم لقب بمعنى (ملك؛ أي حاكم)، وفي ضوء ذلك فسر النقش على النحو الآتي: (فضجو شهرو بن ملك (حاكم) لحيان)، وبناء على هذا التفسير لمضمون النقش اعتقد الدارسون أن ثمة سيطرة أو نفوذاً لمملكة لحيان خلال القرن الرابع قبل الميلاد على تيماء، ولكن الحقيقة الثابتة أن التفسير أعلاه للنقش غير دقيق، إذ يتضح من خلال ورود كلمة (بر) قبل الاسم التي تطابق أداة النسب إلى الأب (ابن) في العربية الفصحى، أن معنى النص لا علاقة له بملك لحيان، بل هو اسم علم خاص يماثل اسم العلم العربي مالك، وعليه هذا الجزء من النص على النحو الآتي: (فضجو الطاهر بن مالك من (قبيلة) لحيان)، وهذا التفسير للنقش بقدر ما ينفي أي نفوذ سياسي لمملكة لحيان أو ملوكها في تيماء، إلا أنه لا يحول دون علاقة لشخص (مالك اللحياني) بتيماء وسكانها، وقد يكون أحد أفراد جالية لحيانية كانت تستوطن تيماء، أو ممن لهم علاقات خاصة أو عامة بقبائل تيماء.

وخلاصة القول إن الشواهد التي يرى فيها بعض الدارسين امتداداً لمحيط حدود مملكة لحيان الجغرافي حتى منطقة الخرج في الجنوب وحتى عمان في الشمال، أو في منطقة بدر وتيماء يشوبها الغموض وقابلة لتفسيرات مختلفة ويجب أن تؤخذ بحذر شديد، وعلى ما يبدو في ضوء ما هو متاح من أدلة ـ حتى الآن ـ أن حدود نفوذ مملكة لحيان السياسي

(١) أبوالحسن،حسين بن علي. قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة، مرجع سابق، ١٠، ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٨.

(٢) AL-Theeb, S. Aramaic and Nabataean In scriptions from North-West Saudi Arabie, 47. Riyadh: 1414H./1993.

لم يتعد محيط منطقة العلا (دادان القديمة) والأمكنة القريبة منها.

ب ـ نشأة مملكة لحيان وتطورها التاريخي:

أسفرت الدراسات الآثارية في منطقة العلا عن الكشف عن مجموعة من المخلفات الأثرية اللحيانية من أبرزها الكشف عن كثير من النقوش اللحيانية في موقع دادان نفسه، وعلى أسطح سفوح الجبال المحيطة في جبل عكمة وأم درج وغيرها، ولكن مضامين هذه النقوش لم تشر لا من قريب أو من بعيد إلى أصل اللحيانيين، أو حتى إلى كيفية نشأة مملكتهم في واحة دادان القديمة؛ فمضامين النقوش اللحيانية المعروفة ـ حتى الآن ـ تؤكد فقط على قيام مملكة لحيان وتكتفي بذكر عدد من ملوكها، وفي ضوء ذلك تعددت آراء الباحثين في التاريخ العربي القديم، خصوصاً من تعرضوا لتاريخ مملكة لحيان، واختلفوا في تاريخ نشأة مملكة لحيان ومراحل حكمها للمنطقة، فمنهم من يرى أن مملكة لحيان مرت بمرحلتين تاريخيتين، وبعضهم يرى أنها مرت بثلاث مراحل تاريخية، فبينما ذهب وينت (Winnett) إلى أن مملكة لحيان قامت في القرن الخامس قبل الميلاد على أنقاض مملكة دادان ثم استمرت حتى القرن الثالث قبل الميلاد، وأعقبتها مباشرة المرحلة الثانية لمملكة لحيان حتى سقوطها على يد ملوك الأنباط[١]، يرى فرنر كاسكل (Caskel) أن مملكة لحيان مرت بمرحلتين تاريخيتين أيضاً، ولكنه يحدد تاريخ لحيان الأولى في الفترة ما بين عام ١١٥ و٩ ق. م، ثم أعقبتها فترة من الزمن شهدت سيطرة من قبل مملكة الأنباط على المنطقة حتى عام ٨٠ م، إذ



جبل أم درج

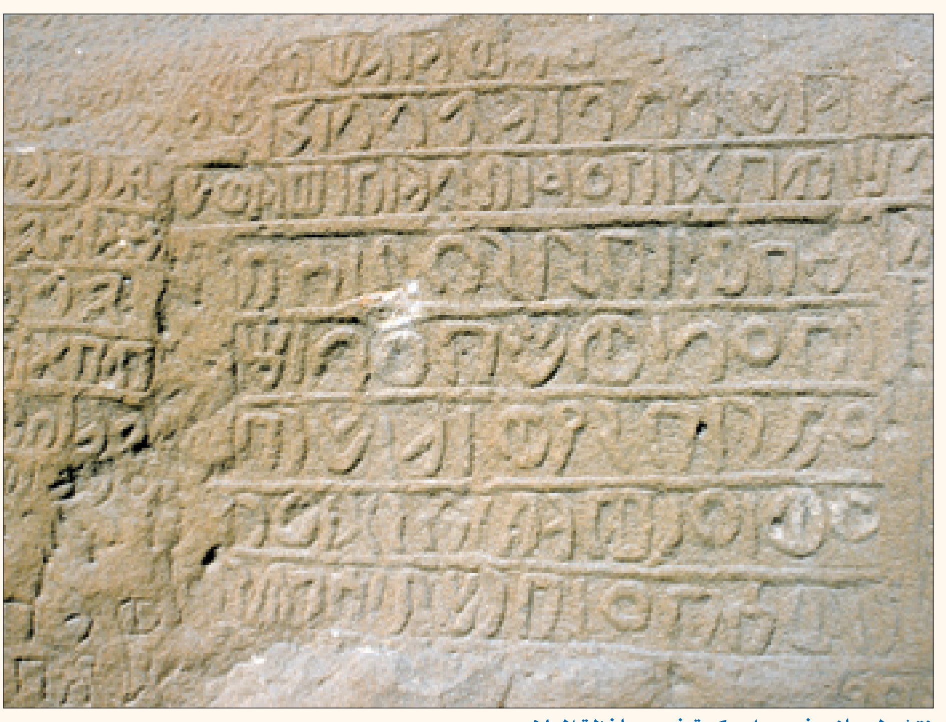
أعقب هذا التاريخ عودة لحيان الثانية وسيطرتها على مجريات السياسة في واحة العلا حتى عام ١٣٤ م على حد زعم كاسكل[٢].

وعندما يمعن النظر في الآراء آنفة الذكر يجد أنها يشوبها عدم الدقة، خصوصاً وجهة نظر فرنر كاسكل التي لم يستند فيها إلى أدلة تبين الأساس الذي بنى عليه مثل هذا التقسيم لتاريخ مملكة لحيان. وهي بعبارة أخرى ـ ومن وجهة نظر علمية ـ تعتمد على الحدس والتخمين، أما وجهة نظر وينت (Winnett) فعلى الرغم من أن رأيه بتقسيم تاريخ مملكة لحيان إلى مرحلتين حضاريتين غير مبرر[٣] في ضوء الشواهد التاريخية المعروفة عن مملكة لحيان، إلا أن تأريخه لقيام تلك المملكة في القرن الخامس قبل

(١) Winnett, F. A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, 51., Toronto, University of Toronto, 1937.

(٢) Op, Cit,. Caskel, Lihyan und Lihyanisch, p. 41.

(٣) لقد اعتمد وينت (Winnett, A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, p. 9) في تقسيمه ـ لمملكة لحيان إلى مرحلتين على أشكال حروف الخط اللحياني، إذ لاحظ في بعض حروف نقوش القرن الثالث قبل الميلاد اختلافاً عن مثيلاتها من القرون السابقة، خصوصاً حرفي الجيم والميم، والحقيقة أن اختلاف بعض أشكال الحروف في إطار الخط الواحد لا ينهض سنداً تاريخياً يسوغ إلى تقسيم حضاري لمملكة إلى مرحلتين، فالنقوش اللحيانية المبكرة والمتأخرة لا تشير إلى تغير في الأسرة الحاكمة، فالحكام اللحيانيون ينعتون أنفسهم دوماً بأنهم ملوك قبيلة لحيان. ولم تشر النقوش اللحيانية إلى تولي قبيلة أخرى غير قبيلة لحيان إدارة شؤون المملكة، ما يعني أن حضارة مملكة لحيان تشكل وحدة متكاملة استمر فيها الحكم والزعامة لقبيلة لحيان منذ قيامها في مطلع القرن الخامس قبل الميلاد وحتى زوالها على يد الأنباط في منتصف القرن الأول قبل الميلاد.



نقش لحياني في جبل عكمة في محافظة العلا

الميلاد أقرب إلى الصواب، ويتفق إلى حد كبير مع معطيات شواهد آثار اللحيانيين ونقوشهم التي تم الكشف عنها حتى الآن في واحة دادان القديمة.

لقد كشفت شواهد النقوش اللحيانية أسماء بعض ملوك دولة لحيان، فقد بلغ المعروف منهم - حتى الآن - اثني عشر ملكاً هم على النحو الآتي:

١. شهر بن هنأس[١].
٢. هنأس بن شهر[٢].
٣. عبدان بن هنأس[٣].
٤. لوذان بن هنأس[٤].
٥. جشم بن لوذان[٥].
٦. تلمي بن لوذان[٦].
٧. تلمي بن هنأس[٧].
٨. هنأس بن تلمي[٨].
٩. جلت قوس[٩].
١٠. سلحان[١٠].
١١. فضج[١١].
١٢. ذأب سموي[١٢].
١٣. مسعود.

وفي ضوء ما عرف حتى الآن من أسماء حكام مملكة لحيان يذهب بعض الدارسين إلى محاولة وضع قائمة بتسلسل ملوك لحيان حسب ورودهم في النقوش اللحيانية، فقد جعل فرنر كاسكل[١٣] الملك اللحياني (هنأس بن شهر) على رأس قائمة ملوك لحيان، أما كتشن[١٤] فيرى أن أباه (شهر) هو أول حاكم لحياني، أما آخر حاكم لحياني فهو (فضجو) عند فرنر كاسكل، و(عبدان بن هنأس) عند كتشن، ولكن الحقيقة التي يجب ألا يغيب عن الأذهان أن هذا التحقيب الزمني لملوك لحيان لا يقوم

(١) أبوالحسن، حسين بن علي. قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا، مرجع سابق، ١٣.
(٢) Jaussen, Savignac, Mission archéologique en Arabie, 53.
(٣) Ibid. Jaussen, 72.
(٤) Ibid. Jaussen, 82.
(٥) Ibid. Jaussen, 85.
(٦) أبوالحسن، حسين بن علي. نقوش لحيانية من منطقة العلا، مرجع سابق، ١٩٧.
(٧) Jaussen, Savignac, Mission archéologique en Arabie, 54؛ سعيد بن فايز السعيد، *نقوش لحيانية غير منشورة من المتحف الوطني - المملكة العربية السعودية*، (الرياض: جامعة الملك سعود، إصدارات مركز البحوث بكلية اللغات والترجمة ١٤١٤، ١٤٢٠ هـ)، ٥.
(٨) Ibid. Jaussen, 75.
(٩) Ibid. Jaussen, 83.
(١٠) Ibid. Jaussen, Nr. 68; Op, Cit,. Caskel, Lihyan und Lihyanische, 80.
(١١) Ibid. Jaussen, Nr. 63; Op, Cit,. Caskel, Lihyan und Lihyanische, 86. اسم هذا الملك غير مؤكد فلم يرد سوى في نقش واحد، ومن خلال سياق النقش لا يتضح بجلاء أهو اسم ملك لحياني أم هو اسم لحدث تاريخي أرخ فيه النقش؟
(١٢) عبدالله نصيف، «نقوش لحيانية مؤرخة من العلا: المملكة العربية السعودية»، *مجلة جامعة الملك سعود، الآداب*، مج١٤، جـ٢، (الرياض: ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م)، ٣٥٩.
(١٣) Op, Cit,. Caskel, Lihyan und Lihyanische, 41.
(١٤) Kitchen, K. Documentation for Ancient Arabia, Part I, Chronological framework and historical sources Liverpool: 1994, pp 169-170.

على أسس ثابتة، وليس من دليل لدى الدارسين حتى الآن في النقوش اللحيانية نفسها أو من الشواهد التاريخية الأخرى يحدد أول حاكم لحياني، أو حتى آخر من حكم لحيان.

من جانب آخر فإن قائمة ملوك لحيان لم تكتشف كلها، فالشواهد المكتشفة حتى الآن لا تمثل بأي حال من الأحوال جميع الموروث النقشي لمملكة لحيان، بل إن ما كشف حتى الآن لا يمثل سوى تلك النقوش الظاهرة على سطح مواقع المستوطنات اللحيانية، أو على سفوح الجبال المحيطة في واحة دادان القديمة.

ومن المؤكد أن ثمة عدداً كثيراً من النقوش اللحيانية التي يرد في متونها ذكر لحكام مملكة لحيان لم تكتشف بعد، لذا فإن أي محاولة لوضع قائمة تثبت التسلسل الزمني لفترات ملوك لحيان فيها تسرع وسابقة لأوانها[١]. وليس أمام المرء سوى الانتظار عما ستكشفه الأعمال الأثرية الميدانية التي بدأت في دادان (الخريبة) مركز الدولة اللحيانية.

وتشير النقوش اللحيانية الملكية المذكورة أعلاه إلى أن اللحيانيين عاشوا في ظل حكم مملكتهم حياة مستقرة، أسهم في استقرارها قوة حكامها في إدارة شؤون الدولة، فعلى ما يبدو من شواهد الآثار والنقوش اللحيانية نفسها فإن قبيلة لحيان كانت تحكم قبضتها على البلاد، فلم تتحدث النقوش المعروفة - حتى الآن - عن نزاعات أو قلاقل سياسية عاشتها المملكة طوال خمسة قرون متتالية، كما لم يبرز على الساحة السياسية - آنذاك - أي زعامات أخرى تنافس الملوك اللحيانيين على إدارة شؤون مملكتهم. ولا ريب في أن ثمة عوامل أسهمت في استقرار مملكة لحيان وازدهارها طوال تلك الفترة الزمنية لعل من أبرزها:

- الموقع المميز لمملكة لحيان في واحة العلا، ذلك الموقع على الطريق التجاري القديم (ما يسمى بطريق البخور) الذي كان يمتد من أقصى جنوب الجزيرة العربية مروراً بالواحات والمراكز التجارية وسط جزيرة العرب وشمالها حتى دول حوض البحر الأبيض المتوسط.
- اهتمام سكان واحة العلا (دادان قديماً) في جعل واحتهم مركزاً تجارياً مهماً في شمال غرب جزيرة العرب، فقد كانت القوافل التجارية القادمة من أرجاء متفرقة من الجزيرة العربية تمر عبر دادان وتحط رحالها فيها، الأمر الذي جعل تلك المنطقة تزدهر تجارياً.



مزارع في أرض مملكة دادان

(١) السعيد، سعيد بن فايز. نقوش لحيانية، مرجع سابق، ١٤.

❖ اهتمام اللحيانيين بالزراعة، وقد ساعدهم على ذلك موقع دولتهم على ضفاف وادي القرى، ذلك الوادي الذي يشتمل على مقومات بيئية وخصوبة في التربة ووفرة في المياه ساهمت في نماء الاقتصاد الزراعي في واحة دادان.

وبفضل تضافر هذه المقومات الحيوية، واهتمام مملكة لحيان شعباً وحكومة في توظيف مخرجاتها لخدمة سبل معاشهم واستقرار دولتهم، عاشت مملكة لحيان طوال تلك الفترة الزمنية في دعة من العيش، وسهل على حكامها توجيه نشاطهم إلى إعمار البلاد والاهتمام بالجوانب الحضارية وحمايتها من القلاقل أو النزاعات[1].

ج ـ نهاية مملكة لحيان:

مثلما تباينت الدراسات العلمية في تحديد بدء نشأة مملكة لحيان في دادان القديمة تباينت أيضاً آراء الدارسين وفرضياتهم حول سقوط مملكة لحيان، ويعود السبب في ذلك إلى أن الوثائق القديمة التي عثر عليها حتى الآن في المنطقة لم ترد فيها أي إشارات تتحدث عن موضوع انهيار تلك المملكة، فهناك من يرى أن سقوط مملكة لحيان كان على فترتين، وقد تبنى هذا الرأي فرنر كاسكل (Caskel) الذي يرى أن مملكة لحيان المبكرة سقطت على يد الأنباط فيما بين عامي ٢٥ و٢٤ ق.م[2]، وفرضوا سيادتهم على المنطقة حتى قضى الرومان على مملكتهم في عام ١٠٦ م، وحسب رأي كاسكل فقد ترتب على سقوط مملكة الأنباط فراغ سياسي في منطقة العلا أدى إلى قيام مملكة لحيان مرة أخرى، وهي ما يسميها (مملكة لحيان المتأخرة) التي استمرت تحكم المنطقة حتى نهايتها في عهد الملك اللحياني (فضج) نهاية عام ١٣٤ م.

أما وينيت (Winnett) فلم يأخذ برأي فرنر كاسكل آنف الذكر، بل يرى أن سقوط مملكة لحيان كان متزامناً مع بروز شخص يدعى مسعود على مسرح الأحداث التاريخية آنذاك، إذ اعتمد (وينيت) في تأريخه لنهاية مملكة لحيان على ثلاثة نقوش عثر عليها في منطقة العلا كتبت بخط نبطي يقول نصها: (مسعودو ملك لحيان)[3]، فقد أوحت له كتابة هذه النقوش بخط نبطي، وليس بخط لحياني، وكذلك تأريخه لشكل حروف النقوش الثلاثة بأنها تعود إلى مرحلة أشكال رسم الحروف الآرامية المتأخرة أو النبطية المبكرة، ما دفعه إلى القول إن مملكة لحيان انتهت في القرن الثاني قبل الميلاد[4].

ويلاحظ أن آراء الدارسين تتفق فيما بينها أن زوال مملكة لحيان كان على يد حكام مملكة الأنباط، ولكنها تتباين في التاريخ الزمني لسقوطها، وحيال ذلك فإن المرء حينما يعيد النظر في الأحداث التاريخية التي شهدتها المنطقة وتزايد نفوذ دولة الأنباط في الشمال[5] في نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الأول قبل الميلاد، يبدو من المرجح أن منتصف القرن الأول قبل الميلاد شهد نهاية مملكة لحيان[6] وزوالها بعد حكم استمر قرابة خمسة قرون متتالية للمنطقة.

خامساً ـ الوجود المعيني في دادان (العلا):[*]

المعينيون هم قبائل عربية جنوبية كانت تستوطن منطقة جوف اليمن، وقد برزوا على مسرح الأحداث السياسية في جنوب الجزيرة

(١) سعيد بن فايز السعيد، «دراسة تحليلية لنقوش لحيانية جديدة»، *مجلة جامعة الملك سعود، الآداب*، مج١٣، جـ٢، (الرياض: ١٤٢١ هـ)، ٣٣٥.

(٢) Op. Cit., Caskel, Lihyan und Lihyanisch, 42.

(٣) Jaussen, Savignac, Mission archéologique en Arabie, pp. 334, 335, 337.

(٤) Op. Cit., Winnet, A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, 51.

(٥) هتون أجواد الفاسي، *الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي*، (الرياض: ١٤١٤ هـ)، ٨٩، ٩٠.

(٦) السعيد، سعيد بن فايز، «دراسة تحليلية لنقوش لحيانية»، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب، مرجع سابق، مج١٣، جـ٢، ٣٣٥.

(*) لمزيد من التفاصيل، انظر: الباب الثالث، (الآثار والمواقع التاريخية)؛ الفصل الأول.

العربية خلال القرن السادس قبل الميلاد، عندما تمكنت مدن منطقة جوف اليمن من التحرر من السيطرة السبئية عليها، وشكلت اتحاداً فيما بينها بزعامة القبائل المعينية، ظهرت على إثره مملكة معين، ومركزها مدينة قرناو (معين حالياً) في الأجزاء الشمالية من اليمن، وقد ظلت مملكة معين تحكم تلك المناطق حتى تمكن حكام مملكة سبأ من القضاء عليها خلال القرن الأول قبل الميلاد.

وبحكم العقلية التجارية للقبائل المعينية وموقعهم المميز في الأطراف الشمالية من اليمن فقد استطاعوا الإمساك بزمام أمور نقل التجارة الدولية من جنوب الجزيرة العربية إلى أنحاء متفرقة من العالم القديم[١]. وقد دلت النقوش المعينية المنتشرة في أرجاء متفرقة من الجزيرة العربية ومناطق الشرق القديم، على انتشار القبائل المعينية في عدد من الحواضر في الجزيرة العربية وخارجها، وكانت منطقة دادان (العلا) من بين أبرز الحواضر التي شهدت كثافة استيطانية للقبائل المعينية، إذ كشف في أرجاء متفرقة من منطقة العلا عن عدد كبير من النقوش المعينية تتحدث مضامينها عن استقرار عدد من القبائل المعينية في دادان القديمة[٢]، وتعايشها مع السكان المحليين. وفي ضوء حقيقة الوجود المعيني في منطقة العلا تعددت آراء الدارسين وتساءل عدد منهم عن أسباب انتقال القبائل المعينية إلى تلك المناطق واستيطانها في أمكنة بعيدة عن مركز دولتهم في منطقة جوف اليمن، وتكاد جل تلك الدراسات العلمية تتفق فيما بينها على اعتبار الوجود المعيني في منطقة دادان يعود إلى أسباب اقتصادية[٣]، فقد اضطر المعينيون بسبب تركيزهم على نقل البضائع التجارية عبر الطريق التجاري القديم (طريق البخور) إلى إنشاء مستوطنة تجارية في منطقة العلا، هدفها تسيير وتسهيل أمور تجارتهم، وضمان وصولها إلى مراكز الاستهلاك في مناطق العالم القديم المختلفة.

وبسبب كثافة الاستيطان المعيني في منطقة العلا فقد اعتقد بعض الدارسين[٤] أن ثمة سيطرة سياسية معينية لبعض الوقت على دادان القديمة (العلا). فقد ذهب كتشن[٥] إلى الاعتقاد أن المعينيين حكموا منطقة العلا، وحاول وضع تسلسل زمني لحكم المعينيين للمنطقة ضمن إطار الممالك العربية القديمة التي حكمت منطقة العلا، فجعل فترة حكمهم للمنطقة تبدأ من عام مئة وثمانين حتى مئة وعشرين قبل الميلاد، أي أنهم - حسب رأي كتشن - حكموا منطقة العلا قرابة ستين عاماً متتالية، ولكن المرء عندما يعيد النظر في وجهة نظر كتشن يجد أنه لم يذكر الأسباب التي جعلته يرى هذا الرأي، وعلاوة على ذلك فإن النقوش المعينية سواء تلك التي كشف النقاب عنها في وطنهم الأم في منطقة جوف اليمن[٦]، أو تلك التي تركها المعينيون أنفسهم في منطقة العلا وعلى سفوح جبالها[٧] لا تتحدث عن سيطرة سياسية على منطقة العلا طوال فترة وجودهم في المنطقة، بل إن مضامين النقوش المعينية تؤكد عكس ما ذهب إليه كتشن. فهي تتحدث عمّا يمكن أن يُطلق عليه اسم (الجالية المعينية التجارية في واحة دادان القديمة)، وقد كان السبب الكامن وراء توافد أفراد هذه الجالية إلى منطقة دادان هو تحقيق أهداف محددة لعل من أبرزها:

(١) السعيد، سعيد بن فايز، العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر، مرجع سابق، ٢٠ - ٥٥، ٦٩ - ٧٨.

(٢) Jaussen, Savignac, Mission archéologique en Arabie, pp. 236- 362.

(٣) AL-Said, S. «Die Verben rtkl und sa rab und ihre Bedeutung in den minäischen Inschriften», Festschrift W.W, Arabia Felix. Müller, Wiesbaden, 1994, pp. 260-267.

(٤) علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب، مرجع سابق، جـ٤، ١٢١.

(٥) Kitchen, Documentation for Ancient Arabia, p. 170.

(٦) F. Bron, Inventaire des inscriptions sudarabiques, Tome 3. ʻñn, Paris Ma - Rome, 1998.

(٧) Op. Cit., Jaussen Savignac, Mission archéologique en Arabie, pp. 236- 362.

- توفير الحماية للقوافل التجارية المعينية حتى تصل إلى مراكز الاستهلاك في الجزيرة العربية وخارجها.
- إدارة البضائع التجارية المنقولة عبر طريق البخور من أقصى جنوب بلاد العرب، وإعادة تصدير الفائض منها إلى حيث يزداد الطلب عليها في أمكنة أبعد من العالم القديم.
- العمل على إيجاد اتصال مباشر مع الشعوب والبلدان خارج وطنهم الأم في منطقة جوف اليمن، من أجل تسهيل عملية البيع والشراء لبضائعهم التجارية[١]، وتسويقها دون وسطاء، حفاظاً عليها من تذبذب الأسعار.

وفي ضوء ما تشير إليه مضامين النقوش المعينية في منطقة العلا يتضح أن الجالية المعينية في منطقة دادان (العلا) كانت مرتبطة بوطنها الأم في منطقة جوف اليمن، فالنقوش المعينية الجنوبية، أي تلك التي كشف عنها في منطقة جوف اليمن تتحدث عن زيارات متعددة لأفراد من الجالية المعينية في منطقة دادان (العلا) إلى حواضرهم في براقش ومعين في منطقة جوف اليمن، وقيامهم هناك بتقديم القرابين لمعبوداتهم، وكذا مشاركتهم في دفع الضرائب المفروضة عليهم من قبل معبوداتهم الرئيسة في جوف اليمن[٢]. إضافة إلى أن تلك النقوش المعينية تسمي أفراد الجالية المعينية باسم (معين مصران)[٣]، ما يعني أن ثمة ارتباطاً وثيقاً من قبل أفراد الجالية المعينية في دادان (العلا) تجاه أوطانهم في جنوب الجزيرة العربية، واتصالاً مباشراً يتطلب منهم تأدية حقوق المواطنة والتزامهم تجاهها.

وتشير رواية النقوش المعينية أيضاً إلى أن الجالية المعينية في العلا كانت منظمة، فعلى رأسها يقوم شخص كانوا يطلقون عليه اسم (كبير)، وهو شيخ الجالية، وفي بعض الأحيان كان يتزعم تلك الجالية أكثر من شخص[٤].

وكانت مهامهم تنحصر في أمرين:

- تنظيم أمور الجالية المعينية في دادان (العلا)، ومتابعة تسهيل نشاطها التجاري.
- تحمل مسؤولية الجالية تجاه الحكومة المحلية في دادان (العلا)[٥].

وحسب رواية النقوش المعينية في منطقة العلا، فقد عاش المعينيون في وئام مع السكان المحليين في منطقة العلا، وإن الطبيعة المسالمة للقبائل المعينية، أو بعبارة أخرى عقليتهم التجارية، كانت تملي عليهم عدم التدخل في الشؤون السياسية لمنطقة العلا التي كانت تدار من قبل حكام مملكة دادان ثم في فترة لاحقة من قبل حكام مملكة لحيان،وذلك لضمان سهولة تدفق تجارتهم ونقلها عبر الأراضي اللحيانية دون أي قلاقل أو خوف عليها، وبفضل ذلك توطدت علاقتهم بالشعوب والقبائل، ونشأ بينهم وبين الشعب الداداني والشعب اللحياني علاقة صداقة، يدل عليها قيام القبائل المعينية بتقديس معبود لحيان الرئيس (ذو غيبة)، كما يؤكد على ذلك مضمون أحد النقوش اللحيانية[٦]، ويشهد على ذلك أيضاً قيام علاقة مصاهرة بين الجالية المعينية في العلا والقبائل الدادانية واللحيانية[٧].

سادساً ـ مملكة الأنباط:

الأنباط هم شعب عربي تركز استيطانهم في بادئ الأمر في المنطقة الواقعة جنوب

(١) AL-Said, S. «Die Verben rtkl und rab und ihre Bedeutung in den minäischen Inschriften», p 265.

(٢) انظر على سبيل المثال النقش المعيني: Garbini, Iscrizioni sudarabiche، ٢٤٧ ؛ السعيد، سعيد بن فايز. العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر، مرجع سابق، ٣١ - ٣٥.

(٣) Garbini, Iscrizioni sudarabiche، ١/٢٤٧ ؛ السعيد، سعيد بن فايز. العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر، مرجع سابق، ٣٥.

(٤) Mordmann, J. H.Beiträge zur minäischen Epigraphik, Weimar 1897, pp. 17, 35.

(٥) Ibid, AL-Said, S. p 265.

(٦) Op. Cit,. Jaussen Savignac, Mission archéologique en Arabie, 49.

(٧) السعيد، سعيد بن فايز، «زوجات المعينيين الأجنبيات في ضوء نقوش جديدة»، أدوماتو، مرجع سابق، ع٥، ٦٤، ٦٥.

البحر الميت، واتخذوا من البتراء في شرق الأردن حاضرة لهم، ومع مرور الوقت تزايدت مواردهم الاقتصادية وقوي نفوذهم السياسي، ما أدى إلى اتساع نطاق رقعة أراضيهم الجغرافية حتى شمل في أوج ازدهار الدولة النبطية المنطقة الواقعة بين الحجر (مدائن صالح في شمال غرب المملكة العربية السعودية) جنوباً وحتى دمشق شمالاً.

وعلى الرغم من اتفاق الدراسات العلمية الحديثة على عروبة الأنباط كما دلت على ذلك أسماء أعلامهم[١]، إلا أن ثمة نقاشاً ما زال لم يحسم بعد حول الموطن الأصلي للأنباط، ومن أي مكان في جزيرة العرب كانت هجرتهم الأولى إلى مناطق استيطانهم المبكر في شرق الأردن، فبعضهم يرى أنهم من قبائل جنوب الجزيرة العربية التي اضطرتها ظروف العيش بعد انهيار سد مأرب في القرن الخامس قبل الميلاد إلى ترك أمكنتهم الأصلية والهجرة إلى شرق الأردن[٢]، وثمة من يعتقد أنهم هاجروا من المناطق الشمالية الغربية للجزيرة العربية[٣]. وبعضهم الآخر يرى أنهم قدموا من منطقة الأحساء في شرق المملكة العربية السعودية[٤]، وآخرون يعتقدون أنهم اتحاد قبلي تشكل من القبائل المستوطنة لمنطقة جنوب الأردن[٥]، وهناك من يرجح أن الأنباط قبل هجرتهم كانوا يستوطنون المنطقة الواقعة بين حائل شمالاً والقصيم جنوباً[٦].

فالآراء متباينة في تحديد الموطن الأول للقبائل النبطية، ما يجعل ترجيح أي منها أمراً صعباً خصوصاً في ظل غياب دليل مادي ومقنع يحدد موطنهم الأول بدقة غير قابلة للترجيح.

ومهما يكن من أمر فالحقيقة الثابتة أن الأنباط ظهروا على مسرح الأحداث التاريخية كقوة منافسة للسلوقيين في بلاد الشام والبطالمة في مصر منذ نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وتعود أقدم إشارة إلى الأنباط في المصادر إلى عام ٣١٢ق.م، فقد جاء ذكرهم عند ديودوروس الصقلي[٧] (Diodourus Sicily) في معرض حديثه عن انتصارهم على الملك السلوقي أنتيجونوس (Antigonus) حينما وجه ضدهم حملتين؛ الأولى بقيادة أثينايوس والثانية بقيادة ابنه دمتريوس كانتا تهدفان إلى السيطرة على الأنباط وكبح تزايد نفوذهم السياسي والاقتصادي في المنطقة[٨]، ولكن الأنباط تمكنوا من القضاء على أفراد الحملة الأولى، واستطاعوا صد الحملة الثانية، ولعل ما يهم هنا أن نتائج هاتين الحملتين تنبئان عمّا للأنباط - آنذاك - من قدرة دفاعية عن مواطنهم، وأنهم كانوا أمة متماسكة وذات سيادة ونفوذ على مناطق استيطانهم، مكنتهم من الوقوف في وجه السياسة التوسعية للملك السلوقي في محيط نطاق أراضيهم.

لقد أدرك الأنباط أهمية منطقتهم والموقع المميز الذي كانت تتبوؤه، ما جعلهم ينصرفون عن حياة الترحال، ويميلون إلى الاستقرار والتركيز على تنمية مواردهم الاقتصادية، وقد ساعدهم على ذلك وقوع مناطق استيطانهم على مسارات الطرق التجارية القديمة القادمة من جنوب الجزيرة العربية؛ فقد كانت حاضرتهم البتراء في شرق الأردن واحدة من أهم المحطات التجارية في منطقة الشرق القديم، ومما أكسبها تلك الأهمية عنايتهم بها وتشجيع أرباب القوافل التجارية على المرور والإقامة بها، فقد عملوا على توفير

(١) مهران، محمد بيومي. دراسات في تاريخ العرب القديم، مرجع سابق، ٤٩٦ - ٥٠٠.

(٢) Glueck, N. The Story of the Nabataean Deities and Dolphine, London 1965, p 4.

(٣) Knauf, E. “Nabataean Origins”, in: Arabians Studies in Honour of Mahmoud Ghul, p 57.

(٤) Milik, J. “Origines des Nabateens”, in: Studies in the History and Archaeology of Jordan4, (ed): A. Hadidi: pp. 261-265.

(٥) Healey, J. The Nabataean Tomb Inscriptions of Mda in Salih, Journal of Semitic Studies Supplement 1, 16., Oxford, 1993.

(٦) سليمان بن عبدالرحمن الذييب، *نقوش جبل أم جذايذ النبطية: دراسة تحليلية*، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢ هـ)، ١٣.

(٧) Diodourus of Sicily, Diodourus Historia, Translated by C. H. Oldfather, vol 19,New York, Load Classical Library, 1933, pp. 94-95.

(٨) تذكر رواية ديودوروس الصقلي، أن الملك السلوقي أنتيجونوس جهز سرية بقيادة صديقه أثينوس قوامها أربعة آلاف من المشاة يدعمهم ستمئة خيال توجهت في الخفاء إلى البتراء مركز تجمع الأنباط آنذاك. وعلى حين غرة وبينما كان الرجال من الأنباط في سفارة لهم خارج البتراء هجموا على المدينة واستباحوها وغنموا ما فيها من طيوب وتوابل. ولكن الأنباط بعد عودتهم سرعان ما تعقبوا الجيش السلوقي وفاجؤوهم في جنح الظلام فأعملوا السيف في رقابهم وتمكنوا من القضاء عليهم. وعلى إثر ذلك كتبوا رسالة إلى أنتيجونوس يخبرونه بما حدث لمدينتهم على يد قائد جيشه أثينوس، فما كان من أنتيجونوس سوى استخدام الحيلة قائلاً لهم: إن الحملة على مدينتهم حدثت دون علمه، ولكنه في الوقت نفسه كان يجهز لحملة ثانية على الأنباط. وهذه المرة كانت الحملة بقيادة ابنه دمتريوس الذي توجه على رأس أربعة آلاف من الخيالة والمشاة ضد الأنباط، فحاصرهم، ولم ينتصر عليهم، بل قنع بعد طول الحصار بما قدمه له الأنباط من هدايا.

الحماية لها، وكذلك توظيف مهارتهم في أنظمة الري وتقنية صناعة القنوات المائية[١]، ما جعل مناطقهم ذات وفرة مائية على مدار العام، واكبتها نهضة زراعية، شجعت تجار القوافل - آنذاك - على المرور والإقامة بها.

ونظراً لتزايد همة الأنباط - آنذاك - في توسيع رقعة نفوذهم الجغرافي وزيادة مواردهم الاقتصادية، فقد جرهم ذلك إلى الدخول في صراعات طويلة مع السلوقيين من جانب والبطالمة من الجانب الآخر[٢]. بيد أنهم على الرغم من ذلك حافظوا على استقلالهم، حتى بدأ الضعف يدب في مملكتي السلوقيين في بلاد الشام والبطالمة في مصر، ما أسهم في ازدياد قوة الأنباط. وفي ضوء أدلة المصادر التاريخية المعروفة - حتى الآن - فإن الأنباط غيروا في نمط نظامهم السياسي من المشيخة القبلية إلى النظام الملكي، ففي نحو عام ١٧٠ق.م بدأ ظهور لقب ملك عند الحديث عن الأنباط في المصادر التاريخية، فكان أول ملوكهم الحارث الأول الذي نعت في سفر المكابيين باسم طاغية العرب[٣]، ومن بعده تعاقب على حكم الدولة النبطية مجموعة من الملوك بلغ عدد المعروف منهم - حتى الآن - أحد عشر ملكاً، وعلى الرغم من أن ثمة تبايناً فيما بين الدارسين حول ترتيب سنوات حكم بعض ملوك الدولة النبطية[٤]، فإن المرجح في ضوء ما تنبئ عنه نقوشهم المكتشفة - حتى الآن - أن فترات حكمهم جاءت على النحو الآتي:

الحارث الثاني ١٢٠ - ٩٦ ق.م؛ عبادة الأول ٩٦ - ٨٧ ق.م؛ رب إل الأول ٨٧ ق.م؛ الحارث الثالث ٨٧ - ٦٢ق.م؛ عبادة الثاني ٦٢ - ٥٩ق. م؛ مالك الأول ٥٩ - ٣٠ ق.م؛ عبادة الثالث ٣٠ - ٩ ق.م؛ الحارث الرابع ٩ق.م - ٤٠ م؛ مالك الثاني ٤٠ - ٧٠ م؛ رب إل الثاني ٧٠ - ١٠٦ م.

وتذكر مصادر التاريخ النبطي أن حكام الدولة النبطية منذ الحارث الأول دافعوا عن سيادتهم على مناطقهم، واتسمت علاقاتهم مع القوى المحيطة بهم تارة بالصراع المسلح، وتارة أخرى بالعلاقة السلمية[٥]؛ ففي عهد الملك النبطي الحارث الثالث الذي حكم من عام ٨٧ - ٦٢ ق.م شهدت الدولة النبطية توسعاً جغرافياً لم تشهده من قبل، فقد تمكن في نحو عام ٨٠ق.م من ضمّ دمشق وأدخلها في نطاق مملكته، وكان يواكب توسع مملكة الأنباط باتجاه الشمال توسع نحو الجنوب، فمن المرجح أن بداية النفوذ النبطي في شمال غرب الجزيرة العربية يعود إلى فترة حكم الحارث الثالث[٦]، ذلك النفوذ الذي توطد خلال فترة حكم عبادة الثاني ومالك الأول ليشمل الحجر (مدائن صالح) كأقصى مكان وصلته سيطرة الأنباط السياسية نحو الجنوب[٧]، ومنذ فترة حكم عبادة الثالث الذي حكم من عام ٣٠ق. م - ٩ق.م، ثمة إشارة في المصادر الكلاسيكية تؤكد على تبعية الحجر (مدائن صالح) للدولة النبطية، فقد أشار الكاتب الروماني (سترابو) في معرض حديثه عن حملة أليوس جالوس العسكرية على جنوب الجزيرة العربية[٨] إلى أن المنطقة الواقعة جنوب مدائن صالح كانت تحكم من شخص نبطي اسمه الحارث، كما أشار أيضاً إلى أن الحملة بعد فشلها في تحقيق أهدافها الاستعمارية كرَّت عائدة بمن تبقى من جنودها، ومرَّت وهي في طريقها إلى مصر بالميناء النبطي (إجرا) على البحر الأحمر[٩].

(١) زيدون المحيسن، *هندسة المياه والري عند الأنباط العرب*، (البتراء: مشروع بيت الأنباط للتأليف والنشر ٣، ٢٠٠٢م)، ١٤٨ - ١٥٥.

(٢) Göritz, E. «Die Nabatäer, ihre Rolle in der Geschichte der antiken Völker», in: Petra Königin der Weihrauchstrasse, (ed) M. Lindner, 14-16.

(٣) سفر المكابيين الثاني، ٥، ٨.

(٤) ثمة اختلاف بين الدارسين في ترتيب سنوات حكم ملوك الدولة النبطية، سببه قلة المعلومات التاريخية عن بعض الملوك، انظر حول هذا الموضوع: Kammerer, A. Pétra et La Nabatène, (Paris: 1929), pp. 174-177. W.Bowersock, «A Report on Arabia Provincia» in: JRS 61 (1971), pp. 222-223. Y Meshorer, Nabataean Coins, Jerusalem 1975, pp. 85-108؛ إحسان عباس، *تاريخ دولة الأنباط: بحوث في تاريخ بلاد الشام*، (عمان: ١٩٧٨م)، ٣٧ - ٧٠؛ حمد بن صراي، *تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم*، (رأس الخيمة: مركز الخليج للكتب، ١٩٩٧م)، ٢٤٩، ٢٥٠.

(٥) عباس، إحسان. تاريخ دولة الأنباط، مرجع سابق، ٣٧ - ٧٠.

(٦) حصة بنت تركي محروت الهذال، «تدخل روما السياسي والعسكري في شبه الجزيرة العربية خلال الفترة من بداية القرن الأول قبل الميلاد. حتى أواخر القرن الثالث الميلادي»، رسالة ماجستير غير منشورة، (الرياض: كلية الآداب للبنات بالرياض، قسم التاريخ، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م)، ١٥٩ - ١٦٢.

(٧) لعل ما يعزز من أن الحجر (مدائن صالح) في منطقة المدينة المنورة كانت تمثل الحدود الجنوبية للدولة النبطية هو عدم وجود آثار لمستوطنات نبطية تقع إلى الجنوب منها، أما ذلك النقش النبطي الذي كشف عنه في خيبر (Corpus Inscriptions Semiticarum, Pars II, Inscriptions Aramaicas Continens I, 1889, p. 335). فلا يعدو كونه من تأثير انتشار الثقافة النبطية في المنطقة، ومن المرجح أنه كتب من قبل أحد الأنباط الذين كانوا في سفارة إلى منطقة خيبر.

(٨) السعيد، سعيد بن فايز. العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر، مرجع سابق، ١١٧، ١١٨.

(٩) Healey, The Nabataean Tomb Inscription of Mdain Salih, p. 26.

ويتضح من رواية النقوش النبطية وبخاصة تلك النقوش الثلاثة التي كشف النقاب عنها في تيماء وجاء فيها ما نصه:

- النقش الأول[١] معناه: (مسعود ملك لحيان كتب هذا النقش).
- النقش الثاني[٢] معناه: (مسعودو).
- النقش الثالث[٣] معناه: (مسعود ملك لحيان).

إن سيطرة الدولة النبطية على المنطقة كانت تدريجية، فمضمون النقوش الثلاثة أعلاه يشير بوضوح إلى أن الأنباط في البداية مارسوا ضغوطاً سياسية على مملكة لحيان السابقة لهم في حكم منطقة العلا وتدخلوا في شؤونها، ما مكنهم من تنصيب شخص موالٍ على رأس هرم المملكة اللحيانية نبطي الأصل، أو متأثر بالثقافة النبطية، الأمر الذي مهد لهم القضاء على مملكة لحيان في نحو النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد.

ولعل السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: ما الأسباب وراء توسع الأنباط نحو الجنوب واتخاذهم من مدائن صالح في منطقة المدينة المنورة مركزاً ثانياً لدولتهم؟

في ضوء السياق التاريخي للأحداث التي شهدتها المنطقة يبدو أن ثمة أسباباً جوهرية جعلت الأنباط يمدون نفوذهم نحو الجنوب ويتخذون من الحجر (مدائن صالح) مركزاً من مراكز قواهم الرئيسة، لعل من أبرزها:

- هدف اقتصادي، فالحجر كانت ـ آنذاك ـ محطة رئيسة على مسار الطرق التجارية القديمة.
- هدف إستراتيجي، حفزه تزايد ضغوط الإمبراطورية الرومانية على الأنباط في الشمال، ما جعلهم يتوجهون نحو الجنوب لإيجاد ملاذ بعيد إلى حد ما عن مطامع الرومان.

ويشير تعدد النقوش النبطية التي كشف النقاب عنها في الحجر (مدائن صالح) وتنوع موضوعاتها إلى تزايد أهميتها لدى الدولة النبطية، خصوصاً منذ فترة حكم الحارث الرابع العام ٩ق.م ـ ٤٠ م، فقد عثر على عدد من النقوش النبطية مؤرخة في فترة حكمه[٤]، ليس ذلك فحسب، بل إن أهمية الحجر عند الدولة النبطية تبرز من خلال قيام الملك النبطي الحارث الرابع بسك عملة نبطية باسم الحجر[٥]. والواضح من خلال نقوش الحجر النبطية أن ملوك الأنباط لم يتخذوا من الحجر (مدائن صالح) مركزاً لحكومتهم يديرون منه شؤون البلاد فحسب، بل أسندوا مهام شؤونها إلى حكام وولاة لإدارتها نيابة عنهم.

والنقوش النبطية التي كشف عنها في منطقة الحجر تؤكد ذلك، فالعديد منها يحمل أسماء أولئك الحكام[٦]، وتنبئ مضامينها عن أن منصب الحاكم في الحجر كان وراثياً[٧]، وتتركز مهامه في أمور تتعلق بإدارة المنطقة من شؤون عسكرية ومدنية، ففي أحد نصوص مقابر الحجر نص معناه[٨]:

١. هذا القبر الذي أنشأه ترصو القائد
٢. ابن تيم لنفسه ولزوجته بنت
٣. عبدعدنان ولعبد رب إل وتيم أبنائه ولأولادهم وذريتهم
٤. وورثتهم من اليوم هذا إلى الأبد.........، القبر
٥. هذا.......... وأبناؤه
٦. يشتري أو يبيع أو يمنح......
٧. وأي إنسان يبيع القبر هذا أو يكتبه (لأحد) عطية، فعليه أن يدفع

(١) Op. Cit,. Jaussen, Savignac, Mission archeologique en Arabie, p. 334.
(٢) ibid, Jaussen, p. 335.
(٣) ibid, Jaussen, p. 337.
(٤) سليمان بن عبدالرحمن الذييب، *نقوش الحجر النبطية*، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٩ هـ/١٩٩٨م)، النقوش رقم: ١٩٠، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٧.
(٥) Op. Cit,. Meshorer, Nabataean Coins, p. 53.
(٦) الذييب، سليمان بن عبدالرحمن. نقوش الحجر النبطية، مرجع سابق، ٢، ٤، ١٨، ٢٢، ٢٢٢.
(٧) الفاسي، هتون أجواد. الحياة الاجتماعية، مرجع سابق، ١٨٧.
(٨) الذييب، سليمان بن عبدالرحمن. نقوش الحجر النبطية، مرجع سابق، ٢٢٨.

٨. لحاكم الحجر ألف قطعة حارثية ومثلها لسيدنا مالك الملك

٩. (تم ذلك) في شهر طبت سنة عشرين وأربع (من حكم) مالك الملك، ملك الأنباط

وينبئ مضمون النص، خصوصاً عبارة (ل ا س ر ت ج ا د ي ه وا ب ح ج ر) في السطر الثامن من النقش، أن منطقة الحجر كان يقوم فيها حاكم محلي ينوب عن الملك النبطي، يلقب في النقوش باسم (أ س ر ت ج ا)، أي الحاكم، ومن مسؤولياته المباشرة تولي رعاية شـؤون المجتمع المحلي وحفظ حقوقهم. فالنقش يشير إلـى أن من يتخطى التشريع المنصوص عليه في متن النقش يعاقب بدفع ألـف عملة حارثية للحاكم نفسه، ومثلها للملك النبطي. وإن تساوي الغرامة المدفوعة للأسرتجا والملك النبطي يشير إلـى مدى النفوذ والصلاحية التي كان يتمتع بها من يتولى مهام الحاكم (أ س ر ت ر ج ا) في الحجر.

وفي ضوء رواية نقوش الحجر النبطية فإن حاكم (ا س رت ج ا) الحجر كانت مسؤولياته تتعدى رعاية شؤون المجتمع المدني في المنطقة إلى الإشراف المباشر على الوجود العسكري النبطي في الحجر الذي دللت النقوش النبطية على وجـوده بكثرة في المنطقة، فقد ورد في نقوش الحجر النبطية ألقاب عسكرية متعددة معروفة منها ـ حتى الآن ـ لقب (ه ف رك ا)، أي (قائد الجيش)[١]، ولقب (ك ل ي ر ك ا)، أي (رئيس الحامية)[٢]، ولقب (ق ن ط ر ي ن ا)، أي (القائد)[٣]، ولقب (س م ي ف ر ا) أي (حامل الراية)[٤]، ولا ريب في أن تكرار ورود مثل هذه الألقاب في نقوش الحجر النبطية ينبئ عن أن الدولة النبطية أولت اهتماماً متزايداً للحجر، ما جعلها تركز عدداً من فيالق الجيش النبطي في تدعيم وجودها السياسي هناك وحماية مصالحها الحيوية فيه.

استمرت الحجر منطقة خاضعة لسيادة الـدولة النبطية منذ منتصف القـرن الأول قبل الميلاد حتى فترة حكم الملك (رب إل) الثاني، تلك الفترة الزمنية التي تزايد فيها النفوذ الروماني في المنطقة، ما أدى في نهاية الأمر إلى إصدار الإمبراطور الروماني تراجان ٩٨ ـ ١١٧ م أمـره بالقضاء على استقلال الدولة النبطية في عام ١٠٦ م وضمها تحت مـا عـرف ـ آنـذاك ـ باسم الـولاية العربية (Provincia Arabia)[٥]. وعلى الرغم من قضاء الرومان على حكومة الأنباط المركزية، مـا تـرتـب عليه زوال نـفـوذهـم السياسي والعسكري في منطقة الحجر وشمال الجزيرة العربية، فإن الوجود الشعبي النبطي والثقافي في الحجر نفسها وفي المناطق الواقعة إلى الشمال منها ظل كما كان في السابق، ويشهد على ذلك تلك النقوش النبطية المؤرخة من القرن الأول حتى القرن الرابع الميلادي[٦] في منطقة الحجر، ولكن هذا لا يعني أن الشعوب الموجودة ـ آنذاك ـ في منطقة الحجر كلها من الأنباط، بل إن ثمة إشارة مصدرها نقوش المنطقة نفسها تؤكد على أنه بجانب انتشار النقوش النبطية، هناك عدد كبير من النقوش العائدة إلى الفترة الزمنية نفسها كتبت بخط ثمودي، بل إن نقش (رقوش) كتب بخطين، خط نبطي ـ عربي مبكر ـ وخط ثمودي[٧]، ما يعني أن الثموديين كانوا ـ آنذاك ـ أيضاً من العناصر الشعبية المكونة لسكان المنطقة.

ومنطقة مدائن صالح بعيد زوال السيادة النبطية عليها كانت تدار من قبل زعماء

(١) الذييب، سليمان بن عبدالرحمن. نقوش الحجر النبطية، مرجع سابق، ١٩٥، ١٩٦.

(٢) المرجع السابق، ٢١٩.

(٣) المرجع السابق، ٢٢١.

(٤) المرجع السابق، ٢١.

(٥) الهذال، حصة بنت تركي محروت، « تدخل روما السياسي والعسكري في شبه الجزيرة العربية»، رسالة ماجستير غير منشورة، مرجع سابق، ٢٠٥، ٢٠٦؛ عرفان شهيد، *روما والعرب: مقدمة لدراسة بيزنطة والعرب*، ترجمة: محمد فهمي عبدالباقي محمود، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت)، ٥٦، ٥٧.

(٦) Healey, The Nabataean Tomb Inscriptions of Mda in Salih, 28.

(٧) Op. Cit,. Jaussen, Savignac, Mission archéologique en Arabie,17.

محليين، ففي نقش نبطي مؤرخ من النصف الثاني للقرن الرابع الميلادي نص معناه[١]:

١. هذا الشاهد والمقبرة التي أنشأ
٢. عدنان بن حبي بن سموإل رئيس (حاكم)
٣. الحجر لمونة زوجته بنت
٤. عمر بن عدنان بن سموإل
٥. حاكم تيماء التي ماتت في شهر
٦. آب سنة مئتين وخمسين

وتنبئ رواية النص أعلاه أن الحجر مثلها مثل تيماء كانت شؤونها في القرن الرابع الميلادي تدار من قبل شخص لقب بمنصب (رئيس الحجر)، اسمه عدنان بن حبي بن سموإل (السموأل عند الإخباريين العرب)، ويتضح من مضمون النقش أن ثمة علاقة أسرية بين حاكم الحجر وتيماء، وقد تكون أسرة سموإل التي جاء ذكرها في المصادر العربية هي التي تفردت بزعامة المنطقة بعد زوال السيادة النبطية عنها.

سابعاً - يثرب (المدينة المنورة):

لم يكن تاريخ يثرب (المدينة المنورة) القديم في المصادر العربية أحسن حالاً من تواريخ بقية مناطق جزيرة العرب؛ فرواية المصادر العربية عنه تتسم بطابع الخيال والبعد عن الحقيقة، ولا تفضي مخرجاتها إلا إلى رؤية ضبابية ليس في وسع المؤرخ تأكيدها أو نفيها، خصوصاً أن الاكتشافات الآثارية لا تسعف في إعادة قراءة تلك الروايات الأسطورية والتأكد من حقيقتها، وعلى العكس من ذلك فإن روايات المصادر العربية للعصور التاريخية في يثرب قبيل الإسلام تبدو أكثر واقعية وأقرب إلى الحقيقة التاريخية منها إلى الخيال، وليس أمام المؤرخ سوى المحاولة لرسم صورة تاريخية تعتمد على المقاربة بين رواية الإخباريين العرب وما أثبتته رواية الشواهد الآثارية والتاريخية ليثرب في عصورها الموغلة في القدم.

اختلفت روايات المصادر العربية في أصل تسمية يثرب بهذا الاسم، فذهبت مذاهب شتى في تعليل دلالته، فبعضهم[٢] يذكر أن أصل التسمية منسوبة إلى يثرب بن قامة بن مهلائيل بن إرم بن عبيل، وفي رواية أخرى ينسب اسم يثرب إلى زعيم العماليق[٣]. وثمة من يذكر أن الاسم مشتق من (التثريب) في اللغة، أي اللوم بالذنب، وفي التنزيل العزيز: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[٤]. ويرى آخرون أن الاسم كان في الأصل يطلق على حي صغير في يثرب، ومع مرور الوقت أصبح الاسم الخاص يطلق على العام[٥]، وهناك من يعتقد أن اسم يثرب هو تحريف للكلمة المصرية (أتريبس)[٦].

ولقد تعددت الأقوال في تحديد مدلول اسم يثرب، وهي إجمالاً تنحو في تفسيرها لمدلول الاسم وفق ما درج عليه منهج الإخباريين من ربط أسماء الأمكنة بأسماء الأشخاص والزعماء، أو ربطه بدلالة معنى الاسم الاشتقاقية.

والحقيقة أن المرء في ضوء ما هو متاح من مصادر ليس في وسعه تأكيد تلك الإشارات أو نفيها، بيد أن الأمر المؤكد أن اسم يثرب موغل في القدم، وأول إشارة إليه في المصادر التاريخية الموثوقة جاءت في نقش الملك البابلي نبونيد[٧] الذي تحدث فيه عن حملته العسكرية على شمال غرب الجزيرة العربية، بوصفها إحدى الأمكنة التي احتلها، وقد جاء الاسم في متن النص البابلي بصيغة (ي -

(١) الذييب، سليمان بن عبدالرحمن. نقوش الحجر النبطية، مرجع سابق، ١٨٨.

(٢) علي بن أحمد السمهودي، *وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى*، (القاهرة: ١٣٢٦)، ج١، ١٥٦، ١٥٧.

(٣) أحمد بن يحيى البلاذري، *أنساب الأشراف*، تحقيق: محمد حميدالله، (القاهرة: ١٩٥٩م)، ٦.

(٤) يوسف، الآية: ٩٢.

(٥) السمهودي، علي بن أحمد. وفاء الوفاء، مرجع سابق، ٨.

(٦) مهران، محمد بيومي. دراسات في تاريخ العرب القديم، مرجع سابق، ٤٣٤.

(٧) السعيد، سعيد بن فايز. حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، مرجع سابق، ٩.



جبل أحد

أَتّ ـ ربُ «يثرب»)، ما يعني أن يثرب كانت في منتصف القرن السادس قبل الميلاد تحمل الاسم نفسه، أما الإشارة الثانية إلى اسم يثرب فقد وردت في أحد النقوش المعينية بصيغة (ي ث ر ب)[١]، أي يثرب، وذلك في نحو القرن الرابع قبل الميلاد، كذلك تكرر اسم يثرب في المصادر الكلاسيكية، فقد جاء في جغرافية بطليموس وعند استيفانوس البيزنطي بصيغة (Iathripa)، وفي أحد نقوش أم جذايذ، ثمة نقش كتب بالخط النبطي[٢] معناه:

١. سلام كأد بن أسلم
٢. الذي من يثرب

فالإشارة في هذا النص تمدنا بدليل جديد من النقوش النبطية عن يثرب المكان والمدينة، ومن المرجع في ضوء رسم حروف النقش أن تاريخه يعود إلى القرن الثاني الميلادي، كما ورد اسم يثرب في التنزيل العزيز في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[٣]. وأخيراً تكرر الاسم بصيغة يثرب في عدد من قصائد شعراء العصر الجاهلي من مثل قيس بن الخطيم، وأبي قيس بن الأسلت، ويستدل من رواية المصادر العربية أن اسم يثرب كان في البداية يطلق على مكان يقع في الوقت الحالي شمال المدينة المنورة، في المنطقة الواقعة بين جبل أحد وجبل سلع[٤]، وظل كذلك حتى غيّر الرسول ﷺ الاسم من يثرب إلى المدينة المنورة[٥].

أ ـ استيطان يثرب:

إن الحديث عن بداية الاستيطان في يثرب أمر ليس باليسير، خصوصاً أن الأبحاث العلمية لا تزال في بداياتها، بل هي مقارنة ببعض مناطق المملكة العربية السعودية الأخرى قليلة جداً، ولكن على الرغم من ذلك واستناداً على المقومات الطبيعية والبيئية، وما تبوأته يثرب من موقع مميز مقارنة مع بعض بلدان جزيرة العرب التي أكدت الأبحاث الآثارية قدم الاستيطان البشري فيها، وأشارت إلى جزء من حياة الإنسان فيها خلال عصور سابقة لعصر فجر التاريخ، فإن المرء بوسعه أن يفترض أن يثرب شهدت أيضاً استيطاناً مبكراً يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، خصوصاً خلال العصر الحجري الحديث الذي تزايد فيه نشاط العنصر البشري في أرجاء متفرقة من منطقة المدينة المنورة[٦]. وما تلك المكتشفات الأثرية لعدد من المنشآت الصخرية، سواء كانت تلك المنشآت على هيئة دوائر أو مثلثات أو مذيلات حجرية في قمم جبل عير جنوب المدينة المنورة، وفي جبال

(١) Bron, F., Inventaire des inscriptions sudarabiques, Tome 3. Ma ñn, Paris-Rome, 1998؛ السعيد، سعيد بن فايز. «زوجات المعينيين الأجنبيات»، أدوماتو، مرجع سابق، ع٥، ٦٤.

(٢) الذييب، سليمان بن عبدالرحمن. نقوش جبل أم جذايذ النبطية، مرجع سابق، ١٦٣.

(٣) الأحزاب، الآية: ١٣.

(٤) بدر، عبدالباسط. التاريخ الشامل للمدينة المنورة، مرجع سابق، ١١٢.

(٥) جاء في مسند الإمام أحمد (٤ / ٢٨٥) قوله ﷺ: «من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله»؛ وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ البيزنطي ستيفانوس (عاش في النصف الأول من القرن السادس الميلادي) قد ذكر يثرب باسم مدينة (Medinat)، انظر: بدر، عبدالباسط. التاريخ الشامل للمدينة المنورة، مرجع سابق، ١٧.

(٦) انظر: بداية الاستيطان وعصور ما قبل التاريخ في بداية هذا الباب.

البيضاء في الأجزاء الشمالية من المدينة المنورة، وتلك التي على ضفاف وادي العقيق ووادي الغرس[١]، وعلى الرغم من قلتها إلا إيماءات وشواهد مهمة تسجل جزءاً من نشاط إنسان يثرب خلال العصر الحجري الحديث وتؤكد على استيطانه فيها خلال تلك العصور الموغلة في القدم.

أما رواية المصادر العربية التي تناولت بداية الاستيطان في يثرب فهي، وإن كانت في مجمل أقوالها متضاربة، ويغلب عليها السرد الأسطوري، فإنها تمثل جزءاً مكملاً لرسم الصور التاريخية لبداية إعمار المدينة المنورة من قبل الإنسان، وحسب رواية الإخباريين العرب فإن أول من سكن يثرب شخص يسمى يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بـن سام بن نـوح، ونسبة إليه سميت يثرب بهذا الاسم، وحسب ما تشير إليه الرواية التاريخية فإن قبيلة عبيل هي أول قبيلة تسكن المدينة[٢]، ولكنها ما لبثت أن هوجمت من قبل العماليق الذين تمكنوا من إجلائها واستيطان يثرب[٣].

ومهما يكن من أمر هذه الرواية التاريخية، فإن الحقيقة الثابتة أنه ليس ثمة دليل مادي يسندها أو ينفيها، وعلى الرغم من ذلك فإنها تشير إلى قدم الاستيطان في يثرب، وهذا أمر أكدته مكتشفات علم الآثار. فالنقوش البابلية، خصوصاً نقوش الملك البابلي نبونيد تؤكد على أن يثرب كانت في القرن السادس قبل الميلاد مدينة عامرة ومركزاً تجارياً مهماً يماثل في أهميته موقع دادان (العلا حالياً) وتيماء، فرواية نقش حران البابلي تفيد أن الملك البابلي نبونيد أقدم خلال حملته على شمال غرب الجزيرة العربية في عام ٥٥٣ق.م على احتلال يثرب، وجعلها ضمن نطاق المدن الخاضعة لسيطرته في شمال غرب الجزيرة العربية، ولا ريب في أن عزم الملك البابلي نبونيد ـ آنـذاك ـ على جعل يـثرب تخضع لسيطرته إنما يرجع إلى الأهمية الاقتصادية والاجتماعية ليثرب من أجل توطيد أركان حكمه للمنطقة الذي دام عشر سنوات متتالية[٤].

ومما يعزز من أهمية يثرب، وقدم الاستيطان فيها خلال تلك الفترة هو ما تحدثت عنه رواية النقوش المعينية، فمن المعروف حسب رواية المصادر المعينية نفسها أن المعينيين قوم امتهنوا نقل التجارة البرية من جنوب الجزيرة العربية إلـى مناطق الاستهلاك في العالم القديم[٥]، ومن أجل تسهيل مهامهم التجارية ارتبطوا بعلاقات اقتصادية واجتماعية مع عدد من الأمم والشعوب والبلدان داخل جزيرة العرب وخارجها، ومن بين تلك البلدان التي جاء ذكرها في النقوش المعينية يثرب[٦]. ففي أحد النقوش المعينية[٧] يرد ما معناه:

١. م بن فَرْخ من عائلة شعثم
٢. من قبيلة جَبْآن عقد قرانه
٣. ودفع مهر خَبَّابة من يثرب

وفي نقش معيني آخر[٨] مشابه في مضمونه للنقش السابق يرد ما معناه:

١. ى د بن ما سك من قبيلة
٢. جبآن عقد قرانه ودفع مهر......
٣. من يثرب

وتنبئ مضامين النقشين أعلاه اللذين يعود تاريخهما على الأرجح إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وكذلك رواية نقش نبونيد السالف الذكر إلى حقائق تاريخية مفيدة عن تتبع تاريخ الإنسان في يثرب خلال عصور ما قبل الإسلام، فهي تشير إلى:

(١) الراشد، سعد بن عبدالعزيز، وآخرون. آثار منطقة المدينة المنورة، مرجع سابق، ٦٣ - ٦٥.

(٢) ثمة روايات أخرى تناقلتها المصادر التاريخية حول مسألة أول من استوطن يثرب، ففي رواية أن أول من سكن يثرب هم صعل وفالج، السمهودي، علي بن أحمد. وفاء الوفاء، مرجع سابق، ١٦٥؛ وفي رواية أخرى تشير إلى أن موسى عليه السلام وقومه هم أول من سكن يثرب؛ المرجع السابق، ١٥٧؛ وتقول رواية ثالثة إن الأوس والخزرج هم أول من نزل المدينة، انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير، *البداية والنهاية*، تحقيق: أحمد أبوملحم، وآخرون، (القاهرة: دار أم القرى، د. ت)، جـ٢، ١٤٨، ١٤٩.

(٣) السمهودي، علي بن أحمد. وفاء الوفاء، مرجع سابق، ١٥٦، ١٥٧.

(٤) السعيد، سعيد بن فايز. حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، مرجع سابق، ٩.

(٥) السعيد، سعيد بن فايز. العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر، مرجع سابق، ٨.

(٦) تذهب بعض الدراسات العلمية الحديثة إلى زعم أن يثرب خضعت لسيطرة المعينيين السياسية، انظر: بدر، عبدالباسط. التاريخ الشامل للمدينة المنورة، مرجع سابق، ٤١؛ بيد أن رواية المصادر المعينية نفسها أثبتت أن الوجود المعيني في شمال غرب الجزيرة العربية، خصوصاً في يثرب ومنطقة العلا لا يتعدى كونه وجود جاليات معينية يتركز نفوذها في تسيير أمور التجارة المعينية، ولا يصل إلى حد السيطرة السياسية على تلك المناطق.

(٧) Garbini, Iscrizioni sudarabiche, 394/10-12.

(٨) ibid, Garbini, Iscrizioni sudarabiche, 392/3-5.

- قدم الاستيطان البشري في يثرب.
- تفاعل سكان يثرب في تلك العصور الموغلة في القدم مع بيئتهم، وتوظيف مقدراتها بما يحقق استقرارهم في مناطقهم.

إن يثرب وسكانها لم يكونوا يعيشون حياة بدائية، بل تمكنوا بفضل جهدهم من جعل يثرب منطقة حيوية، أغرت جيش الملك البابلي أن يطمع في احتلالها، وجعلت قوافل المعينيين التجارية تتوقف فيها وتسوق ما حملته من بضائع من جنوب بلاد العرب في أسواقها.

إن يثرب كانت ـ آنذاك ـ محطة رئيسة على طريق التجارة القديم (طريق البخور) الذي يخترق جزيرة العرب من أقصى جنوبها حتى يصل إلى مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط.

ارتباط يثرب بعلاقات اقتصادية واجتماعية مع شعوب وممالك الجزيرة العربية القديمة.

ب ـ سكان يثرب:

إن مقاربة الروايات التاريخية للمصادر العربية مع شواهد مكتشفات الدراسات الآثارية الحديثة تؤكد على قدم الاستيطان في يثرب، وتدل على أن يثرب تبوأت مكانة اقتصادية واجتماعية بارزة خلال الألف الأول قبل الميلاد؛ ما جعلها مصدر جذب للعنصر البشري على مر العصور، وهذا ما تشير إليه معطيات المصادر العربية الخاصة بتاريخ يثرب، فهي تتضمن إشارة مفيدة عن سكان يثرب، خصوصاً خلال عصور ما بعد الميلاد وفترة قبيل الإسلام، فإشارتها تذهب إلى أن عدداً من القبائل اتخذت من يثرب موطناً لها، ومن بينها قبائل: بني أنيف، وبني مريد حيان من بلي، وبني معاوية بن الحارث، وبني الحذمي، وبني الحرمان، وهما حيان من اليمن، وبني الشطبان من غسان[١]، وبني النضير، وبني قريظة، وبني هدل، وبني ضخم، وبني زعوراء، وبني زيد اللات، وبني القمعة، وبني ماسكة، وبني قينقاع، وبني عكوة، وبني مزاية، وبني حجر، وبني ثعلبة، وبني زهرة[٢]، وقبائل الأوس والخزرج[٣].

وقد اختلفت المصادر العربية، وكذلك الدراسة العلمية الحديثة في تحديد أصول هذه القبائل، ومتى، وكيف، ومن أين هاجرت إلى يثرب؟ فبعضهم يذهب إلى أن تلك القبائل كانت خليطاً من القبائل العربية والقبائل اليهودية، وبعضهم الآخر يرى أن جميع هذه القبائل هي قبائل ذات أصول عربية اعتنق بعضها الديانة اليهودية[٤] وظل بعضهم الآخر على ديانته الوثنية.

ج ـ الأوضاع السياسية في يثرب قبيل الإسلام:

إذا ما استثنينا تلك السنوات العشر ٥٥٣ ـ ٥٤٣ ق.م التي تمكن خلالها الملك البابلي نبونيد من فرض سيطرته على يثرب وإدخالها ضمن المدن العربية الشمالية (دادان، يثرب، يديع، فدك، وخيبر) التي خضعت له وأدارها من مقر إقامته في تيماء، فإنه لم تقم في يثرب وحدة سياسية تتزعمها قيادة مركزية، كما هو الحال في المناطق المجاورة ليثرب في دادان (العلا حالياً) وفي الحجر (مدائن صالح) اللتين شهدتا تعاقب أنظمة سياسية عليها تمثلت في قيام مملكة دادان ثم مملكة لحيان وأخيراً سيطرة مملكة

(١) علي بن الحسين الأصفهاني، *الأغاني*، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٩م)، جـ٢٢، ٩٧.

(٢) علي بن أحمد بن عمر بن رسته، *الأعلاق النفيسة*، (ليدن: برايل، ١٩٨٢م)، ٦٠، ٦١.

(٣) علي بن أبي الكرم الشيباني ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م)، جـ١، ٦٥٥؛ عبدالله بن مسلم بن قتيبة، *كتاب المعارف*، تحقيق: ثروت عكاشة. ط٦، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م)، ٦٤١.

(٤) انظر: آراء القدماء والمحدثين حول الموضوع نفسه عند: محمد بن فارس الجميل، *النبي ويهود المدينة*، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ٣٢ ـ ٤١.

الأنباط عليها حتى تمكن الرومان من القضاء على سيادتهم السياسية في عام ١٠٦ م.

لقد تحدثت المصادر التاريخية عن عدد من الزعامات القبلية في يثرب التي كانت تتنازع فيما بينها رغبة في سيطرة كل منها على الأخرى؛ فقد دخلت القبائل العربية المتهودة، أو اليهودية كما يزعم بعضهم، وهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع في صراع فيما بينها، وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[١]،وأدى تزايد هجرات القبائل العربية الأخرى إلى يثرب إلى إشعال نار الصراع فيما بينها، فعندما قدمت قبيلتا الأوس والخزرج من مواطنهما في جنوب الجزيرة العربية، خشيت القبائل المستوطنة في يثرب من سيطرة هاتين القبيلتين على يثرب ومواردها الاقتصادية، ما جعلها تؤجج نار الفتنة بين القبيلتين، وتمخض عنها قيام حروب ووقعات طاحنة بين قبيلتي الأوس والخزرج استمرت حسب رواية السمهودي مئة وعشرين عاماً[٢]. ومن بين تلك الحروب والوقعات بين القبيلتين حرب سمير التي استمرت قرابة العشرين سنة وكان سببها حسب المصادر العربية أن مالك بن العجلان الخزرجي استضاف رجلاً من بني ذبيان يدعى كعب الثعلبي، وبينما هو في ضيافته ذهب كعب الثعلبي إلى سوق بني قينقاع، وهناك سمع منادياً يبحث عن أقوى شخص في يثرب ليبيعه فرسه، فما كان من كعب الثعلبي إلا أن قال على الفور له: إن من تبحث عنه هو مالك بن العجلان الخزرجي، ولكن سمير بن زيد عارضه وقال له: كلا بل أعز أهل يثرب هو أحيحة بن الجلاح الأوسي، بيد أن صاحب الفرس لم يأبه بقوله، فما كان من سمير بن زيد هذا إلا أن تربص لكعب الثعلبي فأرداه قتيلاً، ما أدى إلى انتفاض مالك بن العجلان مطالباً بدم ضيفه الذبياني، وتمخض ذلك عن حرب ضروس بين الأوس والخزرج استمرت سجالاً بين الطرفين إلى أن اقتنع الأوسيون بدفع دية كعب الثعلبي كاملة[٣].

لم يمضِ وقت طويل على نهاية حرب سمير بين القبيلتين حتى دخلتا في حرب أخرى ذكرتها المصادر العربية باسم حرب حاطب، وتتلخص رواية المصادر عن أسبابها في أن شخصاً من بني ذبيان حل ضيفاً على حاطب بن قيس الأوسي، وبينما كان الضيف يسير في السوق رآه رجل من بني الخزرج، فقال ليهودي كان بجانبه: لك ردائي إن كسعت هذا الذبياني، فما كان من اليهودي إلا أن ضرب الذبياني، فصاح الذبياني قائلاً: يالحاطب كُسع ضيفك، وحال سماع حاطب نداء ضيفه أسرع فقتل اليهودي، فما كان من الخزرجي إلا أن حاول قتل حاطب، وعندما لم يتمكن من ذلك قتل شخصاً غيره من الأوس، وكان ذلك مدعاة لنشوب حرب جديدة بين القبيلتين انتصر فيها الخزرج على الأوس[٤].

استمرت الوقعات والأيام بين الأوس والخزرج، فكان الطرفان يلتحمان لأقل الأسباب، ومن هذه الوقعات وقعة جحجبا، ووقعة السرارة، ووقعة الحصين بن الأسلت، ووقعة فارع، ووقعة الفجار الأولى، ووقعة معبس ومضرس، ووقعة الفجار الثانية ويوم الربيع[٥]، وكان آخرها حرب بعاث التي وقعت قبيل الهجرة بخمس سنوات، وتحالفت فيها قبيلة الأوس مع بني قريظة وبني النضير وبني

(١) البقرة، الآية: ٨٥.

(٢) السمهودي، علي بن أحمد. وفاء الوفاء، مرجع سابق، ٢١٥.

(٣) محمد جاد المولى، وعلي محمد البجادي، ومحمد إبراهيم، *أيام العرب في الجاهلية*، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٦١م)، ٦٢.

(٤) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم الشيباني. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ١، ٤١١، ٤١٢.

(٥) بدر، عبدالباسط. التاريخ الشامل للمدينة المنورة، مرجع سابق، ٧٤-٨١.

أوس اللات ضد قبيلة الخزرج وأحلافها من قبائل جهينة وأشجع وبني قينقاع، فثار القتال بين الطرفين وانتهى بهزيمة الخزرجيين وحلفائهم[١].

والسياق التاريخي لسير الأحداث في يثرب خلال فترة قبيل الإسلام ينبئ عن تدهور الأوضاع الأمنية في محيط يثرب، ويؤكد على أن قبائل المنطقة عاشت في صراع وتناحر فيما بينها، ما حال دون قيام وحدة سياسية تجمع شتات القبائل تحت زعامة واحدة، والسبب الرئيس وراء تلك الصراعات بين قبائل يثرب يرجع إلى تطلع كل قبيلة إلى التفرد بزعامة يثرب، وإحكام السيطرة على مواردها الاقتصادية، ولكن تكافؤ قوة قبائل يثرب، خصوصاً قبيلتي الأوس والخزرج، جعل من قيام حكومة مركزية في يثرب أمراً مستحيلاً، والقبائل الأخرى من بني قريظة وبني النضير وغيرهما كانت تقف حائلاً دون ذلك، فقد كانت تراقب الوضع وتسعى إلى مد يد العون إلى القبيلة الضعيفة، وتناصرها على القبيلة القوية، كما يشهد على ذلك دعمها لقبيلة الأوس إبان حرب بعاث، خشية منها أن تهزم أمام قوة قبيلة الخزرج فتتفرد بزعامة يثرب، ما يحرم تلك القبائل من نفوذها الذي كانت تنعم به في ظل غياب حكومة مركزية من شأنها أن تضبط الأمر وتحد من جو الفوضى والاضطراب السائد آنذاك.

ونظراً لغياب الوعي بأهمية الوحدة السياسية لدى قبائل يثرب خلال فترة قبيل الإسلام، اضطرت بعض القبائل من أجل حماية نفسها، وضمان استمرارية رعاية مصالحها ومواردها الاقتصادية، إلى بناء علاقات منفردة مع الزعامات والقوى المحيطة بيثرب، فالقبائل العربية المتهودة التي من بينها بنو قريظة وبنو النضير كانت ترتبط بعلاقات صلة مع قبائل وادي القرى[٢]، كذلك فعلت قبائل الأوس والخزرج التي تسابقت لعقد تحالفات مع القبائل المحيطة بها مثل: قبائل مزينة وفزارة وجهينة، بل كانت تدفع لبعض القبائل إتاوات، كتلك التي كان يأخذها عيينة بن حصن الفزاري كل عام من أهل يثرب[٣]، وفي حال تعرضهم للخطر كانوا يستنجدون بالقوى المحيطة، وقد فعلوا ذلك عندما اشتد الصراع بينهم وبين قبائل بني قريظة وبني النضير، حينما استنجدوا بمملكة الغساسنة في الشمال لترد عنهم تزايد نفوذ بني قريظة وبني النضير وتدخلهما في شؤونهم، فما كان من الملك الغساني إلا أن لبى طلب أبناء عمومته من الأوس والخزرج، فأرسل جيشاً إلى يثرب خلص الأوس والخزرج وأدب قبائل بني قريظة وبني النضير[٤].

ظل اليثربيون تتنازعهم روح العصبية القبلية ويسود بينهم التناحر والصراع المسلح الذي ما تكاد نيرانه تهدأ حتّى تُخْتَلَقَ أَسْبَابٌ لتأجيجه مرة أخرى، ولا ريب أن مثل هذا الوضع الأمني المتأزم كان ثقيلاً على اليثربيين، وأثر على تنمية مواردهم الاقتصادية، كما حد من قدرتهم على مدّ نفوذهم إلى المنطقة نفسها، أو إلى المناطق الأخرى في جزيرة العرب، على الرغم مما كانت تملكه يثرب ـ آنذاك ـ من مقومات طبيعية واجتماعية لو قدر لها أن توظف كما ينبغي لكان ليثرب دور مهم في سير الأحداث خلال فترة قبيل الإسلام. وبينما كانت يثرب غارقة في هذه الحالة كان نور الإسلام قد انبثق يرسل شعاعه المضيء

(١) ابن الأثير، وعلي بن أبي الكرم الشيباني. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ١، ٤١٨.

(٢) علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب، مرجع سابق، جـ٤، ٥٢٦.

(٣) بدر، عبدالباسط. التاريخ الشامل للمدينة المنورة، مرجع سابق، ٩٧.

(٤) محمد بن محمود بن النجار، *الدرر الثمينة في تاريخ المدينة*، تحقيق: محمود زينهم عزب. ط١، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٦ هـ)، ٤١.

في مكة المكرمة، وقد صادف في هذه الأثناء أن وفداً من بني الأشهل برئاسة أبو الجسر بن رافع كان في مكة المكرمة لحشد القوى وحث قبيلة قريش لمد يد العون لبني الأوس في حرب بعاث المرتقبة بينهم وبين أبناء عمومتهم بني الخزرج، وبينما هم في ذلك سمع بمقدمهم رسول الهدى ﷺ فخاطبهم بقوله: «هل لكم في خير ما جئتم إليه، قالوا: وما ذاك؟ قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ الكتاب، ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن». وعندما سمعوا هذا القول سرعان ما تقدم فيهم إياس بن معاذ قائلاً: (أي قوم هذا والله خير لكم ما جئتم له)، أما رئيسهم فاحتج بانشغالهم عن ذلك بأمر آخر قدموا من أجله[1]، ذلك هو إعداد العدة لحرب بعاث والنيل من بني الخزرج، ولكن الله قدر أن يلتقي رسول الله ﷺ في العام نفسه برهط من الخزرج عند العقبة (فسألهم من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن)[2]، وبينما كان الرسول ﷺ يدعوهم إلى الله، (قال بعضهم لبعض: تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه)[3]. وانطلقوا عائدين إلى يثرب ليبشروا أهل يثرب بمقدم الدين الجديد، ذلك الدين الذي أصلح ذات البين بين قبائل يثرب المتناحرة وخلصها من حروب طاحنة فيما بينها[4]. وبذلك دخلت يثرب في مرحلة جديدة من تاريخها الموغل في القدم، تغير بموجبها اسمها منذ ذلك الحين من يثرب إلى المدينة، وانقلبت مفاهيم سكانها من تعصب للقبيلة إلى ولاء للأمة ودينها الإسلامي الجديد.

(١) عبدالملك بن هشام، *السيرة النبوية*، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (القاهرة: د. ت)، جـ١، ٣٧.

(٢) هارون، عبدالسلام. تهذيب سيرة ابن هشام، مرجع سابق، ١١٤، ١١٥.

(٣) المرجع السابق، ١١٥.

(٤) أحمد إبراهيم الشريف، *الحجاز قبل ظهور الإسلام: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث: الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين*، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٠ هـ/١٩٨٩م)، جـ١، ٣٢.

المصادر والمراجع

التطور التاريخي

الكتب:

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم الشيباني. *الكامل في التاريخ*، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م).
- ابن الأثير، علي بن محمد. *الكامل في التاريخ*، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*. ط١، (حيدر آباد، الدكن: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٧هـ).
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. *زاد المسير في علم التفسير*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).
- ابن الحسين، عبدالله. *مذكراتي*، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م).
- ابن النجار، محمد بن محمود. *الدرر الثمينة في تاريخ المدينة*، تحقيق: محمود زينهم عزب. ط١، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٦هـ).
- ابن إياس، محمد بن أحمد. *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، تحقيق: محمد مصطفى. ط٢، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١م).
- ابن بشر، عثمان بن عبدالله. *عنوان المجد في تاريخ نجد*، تحقيق: عبدالرحمن آل الشيخ، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ).
- ابن حبيب، محمد. *كتاب المحبر*، رواية: أبو سعد الحسن بن الحسين السكري، تحرير: إيلزه ليختن شتاين، (بيروت: د. ت).
- ابن حنبل، أحمد. *المسند*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).
- ابن حنبل، أحمد. *فضائل الصحابة*، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس. ط١، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)*، (بيروت: دار البيان، ١٩٧٩م).
- ابن خلكان، أحمد بن محمد. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ت).
- ابن خياط، خليفة. *تاريخ خليفة بن خياط*، تحقيق: أكرم ضياء العمري. ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).
- ابن رسته، علي بن أحمد بن عمر. *الأعلاق النفيسة*، (ليدن: برايل، ١٩٨٢م).
- ابن سعد، محمد بن سعد. *الطبقات الكبرى*، (بيروت: دار صادر، د. ت).
- ابن سلم، أحمد سعيد. *المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري*، (القاهرة: دار المنار، ١٤١٤هـ).
- ابن صراي، حمد. *تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم*، (رأس الخيمة: مركز الخليج للكتب، ١٩٩٧م).
- ابن عبدالشكور، عبدالله بن محمد. *تاريخ مخطوط لأمراء مكة المكرمة الذين حكموها منذ منتصف القرن الثاني عشر إلى نهاية العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري*، (لم يضع له مؤلفه عنواناً)، نسخة مصورة عن نسخة مكتبة الشيخ إبراهيم عقيل في تعز قام بتصويرها معهد المخطوطات بجامعة الدولة العربية تحت رقم (٣٠٤).
- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح. *تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ إلى ١٣٤٠هـ*، (الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٦هـ).
- ابن غنام، حسين. *تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام*، تحرير: ناصر الدين الأسد، ومقابلة عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ، (الرياض: الصفحات الذهبية، ١٤٠٣هـ).
- ابن فهد، النجم عمر بن فهد. *إتحاف الورى بأخبار أم القرى*، تحقيق: فهيم محمد شلتوت. ط١، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، ١٤٠٤هـ).
- ابن فهد، عبدالعزيز بن عمر. *غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام*، تحقيق: فهيم شلتوت. ط١، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم. *كتاب المعارف*، تحقيق: ثروت عكاشة. ط٦، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م).

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. *البداية والنهاية*، تحقيق: أحمد أبو ملحم، وآخرون، (القاهرة: دار أم القرى، د. ت).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. *البداية والنهاية*، تحقيق: عبدالله التركي. ط١، (القاهرة: مركز هجر للدراسات العربية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- ابن هذلول، سعود. *تاريخ ملوك آل سعود*. ط٢، (الرياض: ١٤٠٢هـ).
- ابن هشام، عبدالملك. *السيرة النبوية*، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (القاهرة: د.ت).
- ابن هشام، عبدالملك. *سيرة النبي ﷺ*، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (القاهرة: دار إحياء التراث العربي، د. ت).
- أبو الحسن، حسين بن علي. *قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا*، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- أبو الحسن، حسين بن علي. *نقوش لحيانية من منطقة العلا: دراسة تحليلية مقارنة*، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
- أبو مساق، محمد المدني. *المسائل التي بناها الإمام مالك على عمل أهل المدينة توثيقاً ودراسة*. ط١، (دبي: دار البحوث والدراسات، ١٤٢١هـ).
- الأتابكي، يوسف بن تغري بردي. *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي. ط١، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م).
- الأتابكي، يوسف بن تغري بردي. *النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة*، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، (د. ت).
- أسكوبي، خالد محمد. *دراسة تحليلية مقارنة لنقوش من منطقة (رم) جنوب غرب تيماء*، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٠هـ).
- الأصفهاني، علي بن الحسين. *الأغاني*، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٩م).
- آل الشيخ، نورة. *الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام*، (جدة: دار تهامة، ١٤٠٣هـ).
- آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله. *تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد*، (الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمئوية المملكة، ١٤١٩هـ).
- أمحزون، محمد. *المدينة المنورة في رحلة العياشي: دراسة وتحقيق*. ط١، (الكويت: دار الأرقم، ١٤٠٨هـ).
- الأندلسي، علي بن أحمد بن حزم. *جمهرة أنساب العرب*، تحقيق: محمد عبدالسلام هارون. ط٤، (القاهرة: دار المعارف، د. ت).
- الأنصاري، عبدالرحمن. *تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب*. تحقيق: محمد العروسي المطوي، (تونس: المكتبة العتيقة، ١٩٧٠م).
- الأنصاري، عبدالرحمن. *قرية الفاو: صورة للحضارة العربية قبل الإسلام*، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٨٢م).
- الأنصاري، عبدالقدوس. *طريق الهجرة*، (جدة: مطابع الروضة، ١٣٩٨هـ).
- الأنصاري، ناجي محمد عبدالقادر. *عمارة وتوسعة المسجد النبوي عبر التاريخ*. ط١، (المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٦هـ).
- الأنصاري، ناجي محمد. *عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ*، (المدينة: نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٦هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل. *الجامع الصحيح*، (تركيا: المكتبة الإسلامية، د. ت).
- بدر، عبدالباسط. *التاريخ الشامل للمدينة المنورة*، (المدينة المنورة: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- البرادعي، أحمد بن محمد صالح. *المدينة المنورة عبر التاريخ*، (١٣٩١هـ).
- البسام، عبدالله بن عبدالرحمن. *علماء نجد خلال ثمانية قرون*، (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ).
- البسام، عبدالله بن محمد. *تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق*، نسخة نقلها عن أصلها الخطي نور الدين شريبة في عام ١٣٧٥هـ.
- البستي، محمد بن حبان. *السيرة النبوية وأخبار الخلفاء من كتاب الثقافة*، (الكويت: مؤسسة الكتب، ١٤٠٧هـ).

- البكر، منذر عبدالكريم. *دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (البصرة: ١٩٩٣م).
- البلادي، عاتق بن غيث. *قلب الحجاز*. ط١، (مكة: دار مكة، ١٤٠٥هـ).
- البلادي، عاتق بن غيث. *معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية*. ط١، (مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. *فتوح البلدان*، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت).
- البلاذري، أحمد بن يحيى. *أنساب الأشراف*، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: ١٩٥٩م).
- بوركهارت، جون لويس. *رحلات في شبه جزيرة العرب*، ترجمة: عبدالعزيز الهلابي، وعبدالرحمن الشيخ، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).
- بيضون، إبراهيم. *الحجاز والدولة الإسلامية*.ط١، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
- البيهقي، أحمد بن حميد. *السنن الكبرى*. (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٣هـ).
- البيهقي، أحمد بن حميد. *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ).
- جاد المولى، محمد، وعلي محمد البجادي، ومحمد إبراهيم. *أيام العرب في الجاهلية*، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٦١م).
- جارشلي، إسماعيل حقي. *أشراف مكة وأمراؤها في العهد العثماني*، ترجمة: خليل مراد. ط١، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٤هـ).
- الجاسر، حمد. *بلاد ينبع*، (الرياض: دار اليمامة، د. ت).
- الجاسر، حمد. *رسائل في تاريخ المدينة*. ط١، (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٢هـ).
- الجاسر، حمد. *في شمال غرب الجزيرة: نصوص، مشاهدات، انطباعات*، (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
- الجبرتي، عبدالرحمن. *عجائب الآثار في التراجم والأخبار*، (بيروت: دار النفائس، ودار الجيل، د. ت).
- الجزيري، عبدالقادر بن محمد الأنصاري. *الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة*، تحقيق: محمد حسن محمد. ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- جلبي، أوليا. *الرحلة الحجازية*، ترجمة وتقديم: الصفصافي أحمد المرسي، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م).
- الجميل، محمد بن فارس. *النبي ويهود المدينة*، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
- حافظ، علي. *فصول في تاريخ المدينة*. ط ٢، (جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- حافظ، علي. *فصول من تاريخ المدينة المنورة*، (جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر، د. ت).
- حرب، جميل محمود. *الحجاز واليمن في العصر الأيوبي*. ط١، (جدة: تهامة للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- الحربي، فائز بن موسى. *ابن مضيان الظاهري وعلاقته بالحملات المصرية في عهد الدولة السعودية الأولى*، (الرياض: دار البدراني، ١٤١٤هـ).
- الحسيني، أحمد بن محمد صالح. *المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي*. ط١، (بيروت: دار الكتاب، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م).
- الحسيني، جعفر بن حسين آل هاشم. *الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة*، مخطوطة توجد صورة منها في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٨٧٣١).
- الحصري، ساطع. *البلاد العربية والدولة العثمانية*، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٥م).
- الحصين، عبدالعزيز بن عبدالرحمن. *العناية بالمسجد النبوي الشريف وأثرها في خدمة الإسلام والمسلمين*، (الرياض: بحوث مؤتمر مئوية المملكة، ٧ ـ ١١ شوال ١٤١٩هـ).
- الحموي، ياقوت بن عبدالله. *معجم البلدان*، (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م).
- الحموي، ياقوت. *معجم البلدان*، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت).
- الخطيب، محمد عجاج. *السنة قبل التدوين*، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠هـ).

- خليل، عماد الدين. *دراسة في السيرة*، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ).
- خماش، نجدة. *الإدارة في العصر الأموي*. ط١، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- الخياري، أحمد ياسين. *تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً*، تعليق: عبيدالله محمد أمين كردي. ط١، (المدينة المنورة: النادي الأدبي بالمدينة، ١٤١٠هـ).
- الخياري، أحمد ياسين. *تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً*، (الرياض: مئوية المملكة، ١٤١٩هـ).
- دحلان، أحمد زيني. *خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام*. ط١، (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ).
- الدقن، السيد محمد. *سكة حديد الحجاز الحميدية: دراسة وثائقية*، (القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٩٨٥م).
- الذييب، سليمان بن عبدالرحمن. *نقوش الحجر النبطية*، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- الذييب، سليمان بن عبدالرحمن. *نقوش جبل أم جذايذ النبطية: دراسة تحليلية*، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ).
- الراشد، سعد بن عبدالعزيز، وآخرون. *آثار منطقة المدينة المنورة*، (الرياض: وزارة التربية والتعليم، وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣هـ).
- رزق الله، مهدي. *السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية*، (الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١٢هـ).
- رضوان، نبيل عبدالحي. *الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس ١٢٨٦ ـ ١٣٢٦هـ/١٨٦٩ ـ ١٩٠٨م*، (جدة: تهامة، ١٤٠٣هـ).
- رفعت باشا، إبراهيم. *مرآة الحرمين*، (بيروت: دار المعرفة، د. ت).
- الريحاني، أمين. *الأعمال العربية الكاملة: تاريخ نجد الحديث*، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م).
- الزركلي، خير الدين. *الأعلام*. ط٦، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م).
- الزركلي، خير الدين. *شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز*، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥م).
- زيدان، محمد حسين. *ذكريات العهود الثلاثة*. ط١، (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٨هـ).
- الزيلعي، أحمد بن عمر. *مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١ ـ٤٨٧هـ*. ط١، (الرياض: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- زيود، محمد أحمد. *أثر انتقال الخلافة على الحجاز: كتاب الجزيرة العربية في العصر الأموي*، (الرياض: جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- السامرائي، خليل إبراهيم، وثامر حامد محمد. *المظاهر الحضارية للمدينة المنورة في عصر النبوة*. ط١، (الموصل: مكتبة بسام، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).
- السباعي، أحمد. *تاريخ مكة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران*، (الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
- السخاوي، شمس الدين. *التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة*، (القاهرة: دار نشر الثقافة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- السعيد، سعيد بن فايز. *العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة*، (الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- السعيد، سعيد بن فايز. *نقوش لحيانية غير منشورة من المتحف الوطني ـ المملكة العربية السعودية*، (الرياض: جامعة الملك سعود، إصدارات مركز البحوث بكلية اللغات والترجمة، ١٤٢٠هـ).
- السعيد، نوري. *مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي*، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٧م).
- السليمان، علي بن حسين. *العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك*، (القاهرة: الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
- السمهودي، علي بن عبدالله أحمد. *وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى*، (القاهرة: ١٣٢٦هـ).
- السمهودي، علي بن عبدالله بن أحمد. *خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى*، (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

- السمهودي، نور الدين علي بن عبدالله بن أحمد. *وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى*، تحقيق: قاسم السامرائي، (مكة: دار الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٢هـ).
- السنجاري، علي بن تاج الدين. *منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم*، دراسة وتحقيق: ماجدة زكريا. ط١، (مكة: جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ).
- السيف، عبدالله بن محمد. *الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي*. ط٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- السيوطي، جلال الدين. *تاريخ الخلفاء*. ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- شاكر، محمود. *التاريخ الإسلامي: العهد الأموي*. ط١، (بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- شراب، محمد محمد حسن. *المدينة المنورة في العصر الأموي*. ط١، (المدينة المنورة: مكتبة دار التراث)، (دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- شراب، محمد محمد حسن. *المعالم الأثيرة في السنة والسيرة*، (دمشق: دار القلم، ١٤١١هـ).
- الشريف، أحمد إبراهيم. *الحجاز قبل ظهور الإسلام: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث: الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين*، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ /١٩٨٩م).
- الشريف، أحمد إبراهيم. *دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني من الهجرة*. ط١، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٨م).
- الشريف، أحمد إبراهيم. *مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول*، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٨م).
- شهيد، عرفان. *روما والعرب: مقدمة لدراسة بيزنطة والعرب*، ترجمة: محمد فهمي عبدالباقي محمود، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت).
- الصالحي، محمد بن يوسف. *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٠٧هـ).
- الطبري، محمد بن جرير. *تاريخ الرسل والملوك*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٤، (القاهرة: دار المعارف بمصر، د. ت).
- الطبري، محمد بن علي بن فضل. *تاريخ مكة: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن*، تحقيق: محسن محمد سليم. ط١، (القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٦م).
- عاشور، سعيد عبدالفتاح. *مصر والشام زمن الأيوبيين والمماليك*، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٢م).
- عباس، إحسان. *تاريخ دولة الأنباط: بحوث في تاريخ بلاد الشام*، (عمان: ١٩٧٨م).
- عباس، حامد. *قصة التوسعة الكبرى*، (جدة: مجموعة بن لادن السعودية، ١٤١٦هـ).
- عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن. *الدولة السعودية الأولى ١١٥٨ ـ١٢٣٣هـ/١٧٤٥ ـ١٨١٨م*، (القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٧هـ).
- عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن. *محمد علي وشبه الجزيرة العربية*، (القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٦م).
- عبدالغني، عارف أحمد. *تاريخ أمراء المدينة المنورة ١هـ ـ١٤١٧هـ*، (دمشق: دار كنان، ١٩٩٦م).
- عبدالغني، عارف أحمد. *تاريخ أمراء المدينة المنورة ١هـ ـ١٤١٧هـ*، (دمشق: دار كنانة للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت).
- عبدالغني، محمد إلياس. *المساجد الأثرية في المدينة النبوية*، (المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ١٤١٨هـ).
- العثيمين، عبدالله الصالح. *تاريخ المملكة العربية السعودية*، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ).
- العرينان، أحمد بن محمد. *إباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية بين المصادر القديمة والحديثة*. ط١، (الكويت: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ).
- العسقلاني، أحمد بن حجر. *الإصابة في تمييز الصحابة*، (القاهرة: مطبعة الكليات الأزهرية، ١٣٢٨هـ).
- العسقلاني، أحمد بن حجر. *فتح الباري في شرح صحيح البخاري*، (بيروت: دار الفكر، د. ت).
- العصامي، عبدالملك بن حسين. *سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي*، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ).
- العلي، إبراهيم. *صحيح السيرة النبوية*، (عمان: دار النفائس، ١٤١٦هـ).
- علي، جواد. *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م).

- العمري، أكرم ضياء. *السيرة النبوية الصحيحة*، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٢هـ).
- العمري، أكرم. *الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر النبوة*، (الرياض: دار إشبيليا، ١٤١٧هـ).
- العمري، أكرم. *المجتمع الديني في عهد النبوة*، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٣هـ).
- عوض، عبدالعزيز. *الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ ـ ١٩١٤م*، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م).
- العوفي، محمد سالم بن شديد. *تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته وعناية المملكة العربية السعودية بطبعه ونشره وترجمة معانيه*، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ).
- العياشي، إبراهيم بن علي. *المدينة بين الماضي والحاضر*، (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ١٣٩٢هـ).
- الغبان، محمد بن عبدالله. *فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه*، (الرياض: دار العبيكان، ١٤١٩هـ).
- غوانمة، هنادي يوسف. *المملكة الهاشمية الحجازية*، (عمان: دار الفكر، ١٩٨٩م).
- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد. *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م).
- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد. *شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام*، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت).
- الفاسي، هتون أجواد. *الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي*، (الرياض: ١٤١٤هـ).
- القضاة، أمين. *الخلفاء الراشدون: أعمال وأحداث*.ط١، (الأردن: دار المنارة، ١٤١٠هـ).
- القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي. *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، (القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- كحالة، عمر رضا. *معجم قبائل العرب القديمة والحديثة*. ط٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- كردي، عبيدالله محمد أمين. *الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً*، (جدة: مجموعة بن لادن السعودية، ١٤١٩هـ).
- اللميلم، عبدالعزيز. *العلاقات بين العلويين والعباسيين من سنة ٩٨ ـ ٢٣٢هـ*. ط٥، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م).
- مؤنس، حسين. *المساجد*، (الكويت: عالم المعرفة، ١٤٠١هـ).
- المانع، محمد. *توحيد المملكة العربية السعودية*، ترجمة: عبدالله العثيمين، (الدمام: مطابع المطوع، ١٤٠٢هـ).
- المحامي، محمد فريد بيك. *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، تحقيق: إحسان حقي، (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ).
- محفوظ، جمال الدين. *غزوات النبي ﷺ*، (القاهرة: دار الاعتصام، د. ت).
- المحيسن، زيدون. *هندسة المياه والري عند الأنباط العرب*، (البتراء: مشروع بيت الأنباط للتأليف والنشر، ٢٠٠٢م).
- المديرس، عبدالرحمن بن مديرس. *المدينة المنورة في العصر المملوكي*. ط١، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- المرادي، محمد. *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر*، (بيروت: دار البشائر، ودار ابن حزم، ١٤٠٨هـ).
- المراغي، الحسين بن عمر. *تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة*، تحقيق: محمد عبدالجواد الأصمعي. ط٢، (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- المسعودي، علي بن الحسين. *مروج الذهب ومعادن الجواهر*، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. ط٤، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).
- المقدسي، شهاب الدين عبدالرحمن بن إبراهيم. *الروضتين في أخبار الدولتين*، (بيروت: دار الجيل، د. ت).
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. *اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء*، تحقيق: الشيال وزميله، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٣م).
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. *الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك*، تحقيق: جمال الدين الشيال. ط١، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. *الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك*، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥م).

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تحقيق: محمد مصطفى زيادة. ط٢، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م).
- مكي، محمد شوقي. *سكان المدينة المنورة*، (الرياض: دار العلوم، ١٤٠٥هـ).
- مهران، محمد بيومي. *دراسات في تاريخ العرب القديم*. ط٢، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ).
- مورتيل، ريتشارد. *الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي*، (الرياض: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ).
- نصيف، عبدالله بن آدم. *العلا: دراسة في التاريخ الحضاري والاجتماعي*، (الرياض: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
- النيسابوري، مسلم بن حجاج. *الجامع الصحيح*، (إستانبول: المكتبة الإسلامية، د. ت).
- هارون، عبدالسلام. *تهذيب سيرة ابن هشام*، (بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي، د. ت).
- هريدي، محمد عبداللطيف. *شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية*. ط١، (القاهرة: دار الزهراء، ١٩٨٩م).
- الهيثمي، نور الدين علي. *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، (القاهرة: دار الريان، ١٤٠٧هـ).
- الواقدي، محمد بن عمر. *المغازي*، تحقيق: مارسدن جونس، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ).
- وزارة التعليم العالي. *دليل التعليم العالي: المنطقة الوسطى، الإصدار الأول ١٤٢٥ ـ ١٤٢٦هـ*، (الرياض: ١٤٢٥هـ).
- وكالة الأنباء السعودية. *بيانات جلسات مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية ١٤١١ ـ ١٤١٢هـ*، (الرياض: ١٤١٢هـ).
- وكالة الأنباء السعودية. *خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: عشرون عاماً من الإنجاز*، (الرياض: وكالة الأنباء السعودية، د. ت).
- الوكيل، محمد السيد. *المسجد النبوي عبر التاريخ*، (جدة: دار المجتمع، ١٤٠٩هـ).
- وهبة، حافظ. *جزيرة العرب في القرن العشرين*. ط٣، (دون بيانات).
- ياسين، يوسف. *الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض منشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣هـ ـ ١٣٤٦هـ*، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز ١٤١٩هـ).
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. *تاريخ اليعقوبي*، (بيروت: دار صادر، د. ت).

الرسائل العلمية:

- المهوس، مريم فريح. «موقف الحامية العثمانية في المدينة المنورة من ثورة الشريف حسين ١٣٣٤ ـ ١٣٣٧هـ/١٩١٦ ـ ١٩١٩م»، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم التاريخ، (الرياض: ١٤٢٢هـ).
- الهذال، حصة بنت تركي محروت. «تدخل روما السياسي والعسكري في شبه الجزيرة العربية خلال الفترة من بداية القرن الأول قبل الميلاد حتى أواخر القرن الثالث الميلادي»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب للبنات بالرياض، قسم التاريخ، (الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

الدوريات والصحف والتقارير:

- الأمين، يوسف مختار. «العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية: دراسة تقويمية»، *أدوماتو*، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، (الجوف: ١٤٢٤هـ).
- الأنصاري، إسماعيل. «نشيد الفرح بمقدم النبي ﷺ»، *مجلة البحوث الإسلامية*، رئاسة الإفتاء والبحوث العلمية، (الرياض: ١٣٩٥هـ).
- البرزنجي، زين العابدين بن محمد. «كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور»، *مجلة العرب*، (١٤٠٦هـ).
- البكري، محمد أنور. «مساجد الفتح بالمدينة أو المساجد السبعة»، *مجلة مركز أبحاث الحج بالمدينة المنورة*، (المدينة المنورة: ١٤٢٤هـ).
- الجاسر، حمد. «ليس الحجر مدائن صالح»، *العرب*، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (الرياض: ١٩٧٨م).
- الحميد، عبداللطيف بن محمد. «من رجال الملك عبدالعزيز: إبراهيم بن عبدالرحمن النشمي ١٣١٣ ـ ١٣٩٨هـ حياته وأعماله»، *مجلة الدرعية*، (الرياض: محرم ١٤١٩هـ).

- السعيد، سعيد بن فايز. «دراسة تحليلية لنقوش لحيانية جديدة»، *مجلة جامعة الملك سعود، الآداب*، (الرياض: ١٤٢٠هـ).
- السعيد، سعيد بن فايز. «زوجات المعينيين الأجنبيات في ضوء نقوش جديدة»، *أدوماتو*، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، (الجوف: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- عليان، محمد عبدالفتاح. «تقويم النظام الذي وضعه عمر بن الخطاب لتوزيع العطاء»، *مجلة كلية العلوم الاجتماعية*، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (الرياض: ١٣٨٩هـ).
- نصيف، عبدالله بن آدم. «نقوش لحيانية مؤرخة من العلا: المملكة العربية السعودية»، *مجلة جامعة الملك سعود، الآداب*، (الرياض: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

المراجع الأجنبية:

- Albright, W. F. ‹Dedan‹ in: Geschichte und Altes Testament‹ Albrecht Alt zum Siebzigsten Geburtstag‹ Tübingen. 1–12. 1953.
- Al-Said, S. «Die Verben rtkl und sa‘rab und ihre Bedeutung in den minäischen Inschriften»‹ Arabia Felix‹ Festschrift W. W. Müller‹ Wiesbaden, 1994.
- AL-Theeb, S. Aramaic and Nabataean In scriptions from North-West Saudi Arabie‹ Riyadh. 1993.
- Beaulieu, P. The Reign of Nabonidus King of Babylon 556 – 539 B. C. ‹ Yale Near Eastern Researches‹ 10‹ London. 1989.
- Bowersock, G. W. «A Report on Arabia Provincia» in: JRS 61. 1971.
- Bron, F. Inventaire des inscriptions sudarabiques, Tome 3. Ma‘ñn‹ Paris – Rome‹ 1998.
- Burckhardt, John Lewis. Notes on the Bedouins and the Wahabys. London: Henry Colburn and Richard Bentley. 1830.
- Caskel, W. ‹ Lihyan‹ und Lihyanisch (Arbeitsgemeinschaft für Forschung des Landes Nordrhein – Westfalen‹ Geisteswissenschaften‹ Heft 4)‹ Köln 1954‹ 55.
- Corpus Inscriptions Semiticarum, Pars II, Inscriptions Aramaicas Continens I, 1889.
- Diodourus of Sicily‹ Diodourus Historia‹ The Library of History‹ Translated by C. H. Oldfather‹ Load Classical Library‹ New York‹ 1933.
- Gadd, C. J. «The Harran Inscriptions of Nabonidus», Anatolian Studies 8, H2 A/B, Col. I: 1958.
- Garbini, G. (Ed.). Iscrizioni sudarabiche‹ vol. I. Iscrizioni minee (Pubblicazioni del Seminario di Semitistica‹ Ricerche 10)‹ Napoli. 1974.
- Gluec, N. The Story of the Nabataean Deities and Dolphine‹ London. 1965.
- Göritz, E. , “Die Nabatäer‹ ihre Rolle in der Geschichte der antiken Völker»‹ in: Petra Königin der Weihrauchstrasse‹ (ed) M. Lindner‹ 11 – 24.
- Healey, J. The Nabataean Tomb Inscriptions of Mda’in Salih‹ Journal of Semitic Studies Supplement 1‹ Oxford. 1993.
- Jausse, A. – Savignac‹ R. ‹ Mission archéologique en Arabie‹ Vols. I – II‹ Publications de la Sociéte Française des Fouilles Archéologiques‹ Paris 1909 – 1914.
- Kammerer, A. Pétra et La Nabatène‹ Paris. 1929.
- Kitchen, K. Documentation for Ancient Arabia‹ Part I‹ Chronological framework and historical sources‹ Liverpool. 1994.
- Knauf, E. ‹ “Nabataean Origins”‹ in: Arabians Studies in Honour of Mahmoud Ghul.
- Martin, B. G. Muslim Brotherhoods in 19th Century Africa. Cambridge: Cambridge University press. 1976.
- Meshorer, Y. Nabataean Coins‹ Jerusalem. 1975.
- Milik, J., “ Origines des Nabateens”‹ in: Studies in the History and Archaeology of Jordan‹ (ed): A. Hadidi.

- Mordmann، J. H. Beiträge zur minäischen Epigraphik، Weimar. 1897.
- Plini, G. Natural History, trans. H. Rackham, Vol. 10, Loeb Classical Library, London Cambridge. 1966.
- Répertoire d'Épigraphie Sémitique publi, par la Commission du Corpus In – scriptionum Semiticarum، Tome V. VI. VII. VIII. Paris 1929. 1935. 1950. 1968، 2902.
- Scagliarini, F. La chronologie dedanite et lihyanite: mise au point. In: H. Lozachmeur (ed), Presence arabe dans le Croissant fertile avant l'Hegire، Actes de la table ronde intenationale، Paris. 1996.
- Smith, S. Babylonian Historical Texts Relating to the Capture and Downfall of Babylon. . Hildesheim. 1975
- Troeller, Gary. The Birth of Saudi Arabia، Britain and the Rise of the House of Saud. London: Frank Cass. 1976.
- Voll, John Obert. "Hadith Scholars and Tariqahs: AnUlama Group in the 18th Century Haramayn and their Impact in the Islamic Words" The Journal of Asian and African Studies، XV: 1980.
- Voll, John Obert. Islam: Continuity and Change in the Modern World. Boulder، Colorado: West View. 1982.
- Voll، John Obert. "Muhammad Hayya Al – Sindi and Muhammad Ibn Abd Al – Wahhab: An Analysis of An Intellectual Group in eighteenth – Century Madina" Bulleten of the School of the Oriental and African Studies، 38: 1975.
- Winnett, F. – Reed، W. Ancient Records from North Arabia (Near and Middle East Series 6)، Toronto. 1937.
- Winnett, F. A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions، Toronto، University of Toronto. 1937.